غزلان الليل

حكاياتٌ أمازيغيَّة

جمعها: إميل لاوست

ترجم منها: إدريس الملياني

كتاب الدوحة

غزلان الليل

كتاب الدوحة
92

يُوَزَّع مجّانًا مع العدد (135) من مجلَّة «الدوحة» - يناير - 2019

عنوان الكتاب: غزلان الليل (حكايات شعبيَّة أمازيغية)
جمعها: إميل لاوست **- ترجم منها:** إدريس الملياني

الناشر: وزارة الثّقافة والرياضة - دولة قطر
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية:
الترقيم الدولي (ردمك):

الإخراج والتصميم: القسم الفَنّي - مجلّة الدوحة
صورة الغلاف: امرأة أمازيغية - فوتوغرافيا (1947)

هذا الكتاب:
يُعبِّر عن آراء مؤلِّفه، ولا يُعبِّر -بالضرورة- عن رأي وزارة الثّقافة والرياضة أو مجلّة الدوحة

غزلان الليل

حكاياتٌ شعبيَّة أمازيغيَّة

جمعها: إميل لاوست
وترجم منها: إدريس الملياني

كتاب الدوحة

فصوص من حِكم الأدب الشَّعبيّ

تجمع الآراء على ثراء الأدب الشَّعبيّ، وتتعالى الدعوات إلى ضرورة الكشف عنه، وأهمِّيّة الاستفادة منه على نطاقٍ واسع في مختلف مجالات الإبداع الأدبي والفَنّي. غير أن الجهود المبذولة ربَّما تبدو قليلة، لا تكاد تلامس من ذلك الكنز الثمين والدفين إلّا السطح، ولا يزال المُنجَز بعيد المنال.

وممّا يُؤسف له أن يظلّ ذلك الحقل البكر ملغوماً ومحفوفاً بشتَّى الحواجز والمحن والمنزلقات مصداقاً لقول الشاعر:

ومَنْ لمْ يقدم رجله مطمئنة
فيثبتها في باطن الأرض يزلقِ.

وقد يتحوَّل أحياناً إلى ترفٍ من تلك المواقف المستهينة بثمار شجرة

الأدب الشَّعبيّ، التي تصدر خاصّة عن المنتسبين إليها على شكل حروبٍ صغيرة مُعلَنة وخفيَّة، وكم يصدق عليهم فيها قول الشاعر الأمازيغي:

ثبِّت أفكارك واحرص على ما تقوله،
فهذا الاستخفاف قد يجر عليك وبالاً

أو قول آخر:

يتسرَّع فمك بالقول ليذرف المرارة،
حقّ لك ذلك يا فاقد الصواب.

ولا تدل تلك المواقف المستخفة إلّا على عقوق يهجس بقتل الأب والقطيعة مع حليب الأمّ، أو كما قال شاعرٌ أمازيغي:

لا يهجو ولا يُهجى إلّا من أفقده الله لطيف الكلام.

ويضيف آخر:

ليس الكلام شيئاً مبتذلاً ولا استهزاء،
فمَنْ اقتحم غماره فليجد القول فيه.

ويؤكِّد آخر:

إن غزر كلامي، فهذا فضل إلهي، ولم يعطه لي أحد،
لا أستجديه من الآخرين، فعندي جواب كلّ تطاول.

ومن شأن تلك المواقف المتخاذلة والمتطاولة، المناوئة والمتواطئة، أن تثبط كلّ عزيمة، وتحبط أي عمل في اقتفاء أثر ذلك الكنز المرصود، المفقود والمنشود، أو الارتواء من تلك البئر الشَّعبيّة المهجورة، التي ربَّما كان الشاعر الأمازيغي يعنيها بقوله:

جعلني الله نبعاً يردني الرواة ولا أتضايق،
فكلّ دلو أرسل صوبي لا يعود فارغاً.

وبالتالي فكلّ مَنْ يحاول أن يطول فرعاً من فروع شجرة الأدب الشَّعبيّ، لاسيما الشفويّ منه، كالحساني والعروبي والمزوغي، يجد نفسه مضطراً إلى امتلاك الخاتم السحري ليستحضر به الوثائق والمخطوطات أو طاقية الإخفاء ليخترق الخزائن أو بساط الريح ليطوف عليه عبر الهلال الخصيب المترامي الأطراف بين جبال الأطلس والريف وسهوب الجنوب والصحراء لجمع وتدوين النصوص من شفاه الباقي من الرواة على قيد الحياة.

وما على القارئ بالعربيّة إلّا أن يكتفي من الوابل بالطلّ ومن الغيث بأول القطر الذي تجود به عليه من حينٍ لآخر النصوص المترجمة المبثوثة في جريدة أو المنشورة في كتاب. ومن ذلك على سبيل الذكر: «الشعر الغنائي الأمازيغي للباحثيْن محمد المسعودي وبوشتى ذكي، اللذين يؤكِّدان تلك المحنة التي يكابدها الباحث في «الذاكرة الجماعية الشفهيّة» باعتبارها «محنة مزدوجة: محنة للأدب في ذاته، إذ يهمَّش وينظر إليه على أنه في الدرجة الثانية بعد الأدب المدوَّن المكتوب، ومن ثمّ يشكّك في قيمته الجمالية وبلاغة أسلوبه ومصداقية مضامينه، وهذا التهميش لا يقتصر على الأدب، بل يمتد إلى مبدعيه ومستهلكيه. ومحنة للباحث في هذا الأدب، إذ إن سمة الشفهيّة تقف حائطاً منيعاً تتكسَّر أمامه آمال وطموح العديد من الباحثين، فذوبان المبدع داخل الذات الجماعية للقبيلة أو المجتمع الناطق بنفس اللّغة يجعل الوقوف على النَّص الأصلي أو ضبطه بغية مقاربته ضرباً من المُغامرة» (ص9 - 10).

ويتساءل الباحثان: «لماذا هُمِّشَ هذا الشعر من طرف أصحابه؟ ألمْ يدركوا الأبعاد الجمالية لهذا الشعر الشفهيّ المتداول؟» و«لماذا لم يضطلع مثقفو البيئات الأمازيغية في المغرب بمُهمَّة تجميع وتصنيف هذا التراث الشفهيّ؟» (ص80).

ويُؤكِّد قولهما الأستاذ لحسن بوتكلاي في قراءته العاشقة لكتابهما «الشعر الغنائي الأمازيغي» - الذي استقينا منه جميع الشذرات الشعريّة الأمازيغية المُستشهَد بها هنا والآن: «إنّ هذا الكتاب محاولة

جادة ورصينة لدراسة الشعر الغنائي الأمازيغي بالأطلس المتوسّط، نتمنَّى أن ينجز مثله في مناطق أخرى بالمغرب، بغية الحفاظ على ذاكرتنا الشعريّة وموروثنا الأدبيّ الغنيّ بالقيم الإنسانية» (ص85).

ولولا مثل هذه المحاولات الجادة والرصينة لما وجد القارئ المُتعطِّش سبيلاً لإرواء غلته من تلك الفنون الشَّعبيّة التي ينضب لها المعين المدرار يوماً بعد يوم، بل ويندى لها حتى الجبين نظراً لغياب المشاريع الثقافيّة الوطنية المُؤجَّلة باستمرار والقادرة وحدها على أن تجبّ السائد والبائد من البرامج التعليمية والإعلامية الضامرة والمناهج التربوية والنقديّة القاصرة عن النهوض بعبء ذلك اللون الجميل من أنواع الإبداع الشَّعبيّ الأصيل الذي عانى زمناً طويلاً من التهميش والإهمال وما زال يعاني من ظلم ذوي القرابة بالدم والألم والحلم متروكاً لرعاية الأجانب أكثر من عناية الأقارب. وربَّما كان الشاعر الأمازيغي يعني أولئك الأجانب بقوله:

الكلام طليق لا يملكه أحد،
أولى به من أحسن استعماله.
ويضيف شاعر آخر:
الكلام الجميل يشبه القمح،
ينفع مَنْ يدخره.

أمّا هؤلاء الأقارب (ومنهم العقارب قولاً وفعلاً) فينسحب عليهم رأي الشاعر:

حين يتسابق الأقوياء،
الزموا الأرض أيها المقعدون.

ويؤكِّد آخر:

كَمْ ينتظرك. الحياة ما زالت مستمرّة،
وستسمع مني جواباً لم تكنْ تتوقَّعه.

والأمّر من ذلك أن تصاب الذاكرة الشَّعبيّة الجماعية كلّ حين بالفقد والضياع والنسيان إنْ لم تكنْ أشرفت على اليتم والعقم ولا أحد يرفع قلمه احتجاجاً مثلاً على غياب معهد خاص بالدراسات الأمازيغية، كمعاهد البعثة الأجنبية المبثوثة في كلّ مكان، بينما يكثر اللّغط الثقافي والجدل السياسي حول الهامشي والثانوي من قضايا الأدب الشَّعبيّ العروبي أو المزوغي من قبيل السؤال العقيم: أهي لغة أم لهجة؟ وهل تكتب النصوص المُترجَمة عنها بالحروف الأجنبيّة أو بالأبجديّة العربيّة أم برموزها الأصليّة؟ ولا اتفاق على الاضطلاع بالمهام الجسام، ولا إجماع إلّا على التَّغنِّي بجمال الإبداع الشَّعبيّ في غياب الحبيب الذي تتطلَّع إليه العين الساخطة التي لا تبدي إلّا المساوئ وتغمض عنه العين الكليلة والعليلة. وعن أمثال هؤلاء يقول الشاعر الأمازيغي:

يا صاحب الألواح والتمائم الفارغة،
لم تسلني أحجيتك عن غياب الحبيب،
وهل هو حبيب؟

ويؤكِّد قوله آخر:

أيها الفقيه الذي يكتب تمائم الرضا،
أتكذب عليّ ها قد ملني الحبيب.

وفضلاً عن ذلك تستمرّ لعبة جَرّ الحبل بين الدعاة إلى وحدة وتنوُّع مكوِّنات الشخصية والهويّة أو الإنية على الأصح، وبين الغلاة من عُداة التعدُّد اللُّغوي أو الاكتفاء في أفضل الأحوال بإلقاء الحبل على الغارب والتفرُّج على مشهد الاحتراب الناشب في وسط الإخوة الأعداء بعيداً على قرب من الصِّراع الكلامي الذاتي والمجاني العقيم، وقريباً على بعد من الحوار الديموقراطي الموضوعي والعقلاني السليم، بينما ذلك البنيان الثقافي يتعرَّض للتآكل مشرفاً على الانهيار والسقوط في ذاكرة النسيان. ولا نعدم من بيننا من يصادر حقوق الآخر في التشابه والاختلاف إلى درجة العقوق الذي يصل إلى أن يرفض بعض روَّاد العمل

الجمعوي إدراج الشعر المغربي الزجلي أو الأمازيغي في برنامج لقاء ثقافي بينما يقبل الاستماع إلى قصيدة مكتوبة بإحدى اللُّغات الأجنبية.

وإذا كانت الذاكرة الشَّعبيّة الجماعية يطغى عليها الطابع الشعريّ فإنها بدأت في العقود الأخيرة تنتقل من الشفويّ إلى المكتوب، ومن الشعري إلى السردي، إلى جانب أنواعٍ أخرى من الإبداع الفَنِّيّ، كالمسرح والسينما.

وعلى الرغم من وجود جمعيات ومؤسَّسات تُعنَى بالأدب العروبي والمزوغي، وتُقام له معارض خاصّة بالكتاب، أو تُعقَد حوله ندواتٌ فكريّة من وقتٍ لآخر ربَّما كان آخرها ندوة الأدب الأمازيغي في برنامج «رياض الفكر»، الذي تُقدِّمه الإعلامية فاطمة التواتي، فإن هذا الفضاء الغنيّ بالمخيال الشَّعبيّ لا يزال بحاجة إلى المزيد من الرعاية والعناية والاهتمام والانهمام.

وقد يكون وضعه الاعتباري أشبه بما جاء في قصيدة الشاعر الأمازيغي بوكزمير حسن:

حال الشاعر كنساجة زرابي
أفحمني القول وانهد عقلي
من ألح على النظم يُجن
دائم السهر مستديم التفكير
عيي فكري وتلاشى
جف مقولي، فالأحق بالشعر مَنْ يجيده
أيها العيّ ها قد بان عجزك.

وطوبى أوَّلاً وأخيراً لكلّ شاعر أو زجَّال أو «أنظام» أو «لمغني» أو «أنشّاد» أو «بولغا» أو «أوّال» أو «أمدياز» يناهض أيّ عجزٍ فكري ويحافظ على كلّ كنز شعري باللسان العربيّ والعروبي والحسّاني والأمازيغي ومن أي الجهات واللُّغات الممكنة والمستحيلة.

ومـن القلـب التحيـة التقديريـة إلى كلّ كاتـب يمتعنـا مـن حـين لآخـر بنصـوص مـن الذاكرة الشـعريّة الجماعية، الشـفهية والمكتوبة وبفُصوص مـن حكَـم الأدب الشَّـعبيّ الأصيـل والعريق الـذي ربَّما كانـت تعني مبدعيه ومسـتهلكيه رخامـة فينيقيـة جـاء فيهـا بتاريـخ 125 قبـل الميلاد:

«إن ناس البحر في هم»، و«الحزن أكلهم»، و«لا يصلنا أي خير هنا»، و«الحمى هنا عسيرة، فإذا أحب الحي ماء وجده حاراً»، و«قاتله الحزن لكن موته كانت حناناً عليه»، و«أليس حراماً أن يحصل هكذا»؟!..

إدريس الملياني

يوسف، عاشق الملكة[1]

وقع شابٌّ في غرام زوجة الملك، ولم يدرِ كيف يصل إليها فاقترحت عليه أن يتنكَّر بزي امرأة! فحلق لحيته، وارتدى ملابس النساء، ومضى

(1) يقول إميل لاوست في «حكايات بربرية من المغرب» مُعلِّقاً على هذه الحكاية: إن هذين العاشقين مشهوران باسم سيدي فاضل وعطوش.. وقصّة فاضل مع السلطان قصيدة قصيرة موزونة جزئياً، في قبائل حاحا. وملخَّصها: أن فاضل، عاشق الملكة عطوش، يدخل إلى القصر، وينسى فيه غمد سيفه المزخرف، يعثر عليه الملك، فيدعو فرسانه إلى رحلة صيد، ويرتاب في فاضل، حين يرى سيفه مزخرفاً بحلية جديدة. ويستدرج الملك الفرسان إلى الحديقة، ويسأل إنْ كان أحد منهم قد شاهد يوماً شيئاً شبيهاً بهذه الروضة من الزهور. وينكشف سرُّ فاضل، ويضحّي بحياته من أجل حُبّه للملكة. ثمّ لم تلبث الملكة أن حذت حذوه، وبعد دفنهما، تنبثق نخلتان، إحداهما من قبر فاضل، وأخرى من قبر عطوش، وتلتف أغصانهما في السماء. سبع مرات والملك يأمر بقطعهما دون جدوى، حتى يتدخَّل في الأمر «يهودي»: وعندئذ ينبجس ينبوعان من الماء، أحدهما من قبر فاضل، والآخر من قبر عطوش، وتلتقي مياههما وتمتزج لتجوب العالم.

ونفس هذه الفكرة «التيمة» تتطوَّر في قصّة نهري سبو وملوية، التي كشف عنها النقاب أحد الباحثين في بني وراين... وملخَّصها: أن فتى، هو سبو، وفتاة، هي ملوية، كانا يختلفان إلى نفس المدرسة، ويكنُّ أحدهما للآخر مشاعر في غاية الرِّقة والحنان: لا يفترقان أبداً، يلعبان دائماً معاً، ويمشيان يداً في يد. ولكن والد الصبية، وهو تاجر مُتعجرِف، يُصرّ على فصل أحدهما عن الآخر، فيثقبان السور ويضمان يديهما من جديد. فيهتاج الأب الحانق، ويقتلهما ويدفنهما معاً في قبر واحد، في آيت ورين، قرب ضريح سيدي موسى. وحينئذ تنبثق من القبر داليتان وتتعانق فروعهما في السماء. ثمّ يقتلعهما الأب ويفصل بين القبرين. فتخرج شجرة حور رجراج من قبر ملوية، وشجرة حور من قبر سبو، وتلتف أغصانهما من جديد. وهكذا وُلِدَ نهر سبو، الذي يجري نحو الغرب، وملوية الذي يجري نحو الشرق. ومنذ ذلك الحين، والماء يتدفّق، صيفاً وشتاءً، عنيفاً مثل حبهما، مُكتسحاً في طريقه كل شيء، انتقاماً من الأب المعاند...

إلى القصر.

كان كلَّما وقف في وجهه باب يقول: «افتحوا، أيها الحراس! وكلَّما مَرَّ بباب يقول: «أغلقوا، أيها الحراس!» حتى وصل إلى الملكة. فأدخلته إلى المقصورة، وذهبت لإخبار الملك:

- لقد جاءت أمي لزيارتي!

ثمّ أقامت لعاشقها وليمة فاخرة، وقضت معه بقية نهار. بينما كان الملك يعتقد أنها مع أمها. وكذلك عندما عادت لتقول له:

- إن أمي تريد أن تذهب!

قدَّم لها الملك، حسب العرف والعادات، مختلف أصناف الهدايا والهبات.

ولم تلبث الملكة أن حملت، ثمّ وضعت طفلاً، وأقام الملك حفل، العقيقة، واستدعى له جميع الناس. وخلال الحفل، ظلّ الملك يقدِّم، لكلّ واحد من الضيوف، وردةً كان قد عثر عليها في القصر، وهو يقول:

- مَنْ استطاع أن يقول لي: لمَنْ تشبه هذه الوردة، لجازيته بنصف مملكتي!

قال أحدهم:

- إنها تشبه بهاء ثيابك الفاخرة، يا مولاي!

وقال آخر:

- إنها تشبه حلية سرج حصانك، يا مولاي!

ولما جاء دور يوسف، عاشق الملكة، قال:

- لقد رأيت في قصرك، يا مولاي، سيدة حسناء، مثل هذه الوردة!

فصاح الملك:

- اضربوا عنق هذا المُخاتل، فقد دخل إلى الحريم!

وقال يوسف:

- اقتلوني، يا مولاي، أسفل المقصورة!

وساقوه إلى أسفل المقصورة وأوثقوه هناك ليقتلوه. وحينئذ أطّلت الملكة من النافذة، وقالت له:

- اكتشفوك يا يوسف، اصبر لحكم القدر، فالموت مصيرنا المحتوم!

ثمّ إنه ذُبِحَ أمام عينيّ الملكة الحسناء، التي ألقت بنفسها من النافذة، فوق جثة عاشقها، وقالت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة:

- ادفنوني، مع حبيبي، في قبرٍ واحد!
فروة الصوف لظهري،
ونخاع العظم لفمي،
وللناس نقانق الأمعاء!

فاضل وعطوش

كان فاضل قائداً، ذا حصان رمادي جميل.
شهران وهو يدربه، بين أوقات الصلاة.
خلال الظهيرة وغروب الشمس.
شهران وهو يرعاه.
وقد حلَّى جيده
بمئة مثقال.

حتى إذا جاء يوم اتّجه فيه نحو قصر الملك.
وإذا بعطوش تلمحه قادماً، من أعلى
مقصورتها الملكية.
فتنادي خادمتها من حرس الحريم:

- «مسعودة يا أروع الخادمات، انظري
لمن يشبه ذلك الفارس؟»
- «آهٍ يا سيدتي، آهٍ يا للا، إنه يشبه فاضل».
- «آهٍ يا مسعودة، يا أجمل الخادمات،
قوليِ لفاضل أن يهرع إليّ فيشفي قلبي.
قوليِ لفاضل، إنْ هو أبطأ عليَّ فإن القبر مصيري».

وانطلقت الخادم إلى حرس الحريم.

- الأبواب التي تصل إليها، افتحوها، أيها الحراس.
الأبواب التي تمر منها، أغلقوها، أيها الحراس.

ولم ينتبه إليها قبل أن تلمس ركابه.

- «سيدي، إنّ مولاتي تبعث لك.
بسلام رقيق؛ وتنتظر جوابك».
- «آهٍ يا مسعودة، يا أفضل الخادمات،
ليس لي، وحقّ أمي، قدرة
على خوض حرب مع الملك».
- «خضها يا سيدي، وسوف تنتصر»

وارتدى فاضل خِماراً وإزاراً.

- أيها الحراس. الأبواب التي يصل إليها، افتحوها،
أيها الحراس. الأبواب التي يمرّ منها، أغلقوها،
أيها الحراس.

كانت الخادم تقول: «أفسحوا الطريق للشريفة».
وهو لا يدري إنْ كان قد مرّ بأكثر من مئة باب.
والحرَّاس غارقون في أريج العطور.
فاضل يتقدَّم. مبهوراً بأشعة ساطعة.

فاضل يتخاذل. يريد أن يعود أدراجه.

- «مرحباً، يا فاضل، أهلاً وسهلاً، يا أخي، تقدَّم».

في هذه الليلة حَجّ فاضل!
ولكنه لسوء حظه نسي حلية سيفه هناك.
حيث يأتي الملك في الصباح.
طلع النهار. لم يطلع النهار، ها هو الملك.
يقول لها:

- «عطوش، ما لوجهك، يا ابنتي، قد شحب في هذه الليلة؟
تضوع الطيوب، ما الذي حدث في هذه الليلة؟
وهذه الزرابي المنقولة، التي لم تنقل من مكانها قط
ما بالها هذه الليلة»؟
- «آهٍ يا سيدي ومولاي، إن رأسي يؤلمني
لم أخالف، يا مولاي، أوامر أبي،
لم أخالف، يا مولاي، وصايا أمي».

ونادى الملك رجاله:

- «أيها الحراس
أيها المخازنية،
سيكون اليوم صيد.
من فقد حلية السيف هذه - هنا؟»

قال له كل فارس:

- ها هي حلية سيفي يا مولاي.
هذه، يا سيدي، حلية سيف فاضل.

كان لفاضل أخ صائغ، لحم له حلية سيفه.

ها هو فاضل، إلى أين يمضي، هامزاً حصانه؟
قال:

- *«سيدي، ها هي حلية سيفي يا مولاي»*
فقال له الملك: «حليتك جديدة، أيها الماكر».
- *«لقد تكسَّرت، يا سيدي، فلحمتها».*

ولما هطلت أمطار سبتمبر، ونمت الأزهار،
مضى بهم الملك إلى الحديقة المزهرة.

- *«رأيكم، أيها الفرسان: ألم يشاهد أحد منكم يوماً*
شيئاً شبيهاً بهذه الأزهار؟

قال أحدهم:

- *«وجهك، يا مولاي»*

وقال آخر:

- *«سرجك، يا مولاي»*

وقال ثالث:

- *«ركابك، يا مولاي»*

وها هو فاضل، إلى أين يمضي، هامزاً حصانه؟

- *«أقسم بحياتي، إن المرأة التي رأيت، أجمل من هذه الأزهار.*
أصابعها أقراص من العسل البكر.
وعيناها متألقتان، كعينيّ النسر حين يأسر الحجل،
وكعبا قدميها مجبولان من الزهر...»

عندما قال فاضل هذا الكلام
لم يعد يخامر الملك شكّ. فقال:

- «*اضربوا المذنب حتى لا يعترف بالخطيئة*».

وقال فاضل:

- «*أمهلني يا مولاي*
ريثما يقفز حصاني ثلاث قفزات.

فأمهله السلطان. وفي رمشة عين
صار تحت أنظار عطوش. وهناك قُتِل.
فألقت بنفسها عطوش، من أعلى مقصورتها،
وتحطَّمت، مثل حجرة من سبعة معادن.
ثمّ حملوهما إلى مقبرة.. ودفنوهما.
فنبتت نخلة من قبر عطوش، ونخلة أخرى من قبر فاضل.
والتفت أغصانهما في عنان السماء.
سبع مرَّات والسلطان يأمر بقطعهما.
غير أن أحداً لم يقدر على أن يفصل بينهما.
حتى جاء ساحر ليقول للملك:

- «*كم تعطيني إذا فصلت هاتين النخلتين؟*»

فوعده الملك بمنحةٍ سخيّة.
وقطع الساحر الشجرتين.
ولم تنبت النخلتان بعد ذلك.
ثمّ انفجرت عينُ ماء من قبر فاضل.
وعينٌ أخرى من قبر عطوش.
والتقت مياههما - لتجوب العالم.

غزلان الليل

غداة اعتلائه العرش، لم يتمكَّن ملك أحد البلاد من النوم، لشِدّة اضطرابه. قال في نفسه: أمرٌ غريب! أوَّل أرقه كهاجس بالاضطرابات التي كانت تحدث في عاصمة مملكته. وفجأة نهض، ارتدى ملابس المدينة وخرج ليتجوَّل، وحينئذ سمع صفيراً، اتجه نحو مصدر الصوت فألفى ثلاثة رجال جالسين. وبعد أن حيَّاهم سألهم:

- ماذا تفعلون هنا؟
- إننا ننتظر!
- ومَنْ أنتم؟
- نحن! نحن غزلان الليل! وأنت؟
- أنا أيضاً، غزالُ ليل؟ وسأل أحدهم:
- أيُّ عملٍ تجيد؟

- أنا، حينما ينبح كلب، أفهم ما يقول!

وقال للثاني:

- وأنت؟
- أنا، عندما أشمّ أمام جدار، أعرف ما يدور خلفه!

ثمّ سأل الثالث فقال:

- أنا أثقب الجدار وأسدّ الثقب دون أن أترك أي أثر!

وحين سألوه هو قال:

- أنا أجفف الريق في فم البشر!
- أنت أيضاً، لك مهنة جيدة!
وبعد ذلك سألهم الملك:
- إلى أين تريدون أن نذهب؟

فقالوا له:

- هيا بنا ننهب خزائن الملك!

وقفوا واتجهوا نحو القصر. وخلال الطريق، التقوا بكلبٍ ينبح في أعقابهم. فسأل أحدهم:

- أين ذلك الذي يفهم لغة الكلاب؟
- ها أنا ذا!
- ماذا قال؟
- إنه يحذرنا من وجود الملك بين صفوفنا!
- اسكت، ما هذا الكلام الفارغ! الملك ينام في قصره.

وحين اقتربوا من القصر، قال أحدهم:

- أين ذاك الذي يشمّ أمام جدار، ويعرف ما يجري خلفه؟
- ها أنا ذا!.. تقدَّمْ وشِمْ.
- ماذا وراء الجدار؟
- إنها غرفة الخادمات!

وتابعوا سيرهم بمحاذاة الجدار.

-.. وهنا، ماذا يوجد؟
- هنا، المطبخ!

وساروا بعد ذلك.

-.. وهنا؟
- هنا، غرفة الملك!
- وهل يوجد الملك بداخلها؟
- كلا، لا يوجد فيها. لَعلّه ذهب للصلاة.

ثمّ واصلوا طوافهم.

-.. وهنا؟
- هنا، مكان الخزينة؟

وتوجَّهوا إلى ثقَّاب الأسوار قائلين:

- اقتربْ وقمْ بمُهمَّتك!

وشرع الرجل في حفر فجوة في الجدار، ولما انتهى قالوا للملك:

- ادخل!

فدخل الملك شخصياً إلى الخزينة، وحمل منها صندوقاً.

- اذهبْ واحملْ صناديق أخرى!

فحمل صندوقاً ثانياً، وثالثاً، فرابعاً. أخذ كلّ واحد صندوقاً، بمَنْ فيهم الملك. ثمّ قالوا لثقّاب الأسوار:

- أعد الجدار كما كان!

فتمَّ ذلك في الحين.

حمل كلّ واحد صندوقه، ولأن الصناديق كانت ثقيلة، فقد توقَّفوا لحظةَ ليستريحوا، قالوا للملك:

- الآن، خذ نصيبك، وانصرف!
- لكني، لم أتمكَّن يوماً من الحصول على مثقال واحد من الذهب، يكون لي وحدي.
- ماذا تقصد؟
- أخاف أن آخذ كلّ هذا الذهب. غداً، عندما يطلع النهار، سأذهب لشراء الملابس، والحرير، لا شكّ أن الناس سيتساءلون من أين أتتني هذه النقود، إذ، سيقولون لم يكنْ يملك شروى نقير!
- ماذا تقصد من وراء هذا الكلام؟
- في الواقع، أريد أن تحملوا صندوقي معكم، وعندما أحتاج إلى بعض النقود، سآتي لأطلبها منكم.
- اذهب، مطمئن البال، وتعال إلينا كلَّما رغبت في ذلك.
استأذنهم بالانصراف، ولكنه لم يلبث أن عاد ليقول لهم:
- لكني، لا أعرفكم. لمن سأتوجه غداً، لأجدكم؟
- كيف، لا تعرف من نحن!
- أنا هو المُؤذِّن. قال الأول.
- وأنا هو الإمام. قال الثاني.
- وأنا هو الفقيه. قال الأخير.
- دمتم في حفظ الله ورعايته!

وعاد إلى غرفته في القصر.
نـام هنـاك، وفي الصبـاح، مضى إلى المشـور، حيث تجري الاسـتقبالات. وعنـد انتهـاء الجلسـة، انحنـى عـلى الوزير وقال له همساً:

- في الظهـر، سـتذهب إلى المسـجد، وسـتجلس في الصـف الأول، للمصلـين. وبعـد الصـلاة مبـاشرةً، سـتطلب بصـوتٍ خافـت، مـن المُـؤذِّن والإمـام والفقيـه أن يحـضروا لزيـارتي!

ومرَّت الأمور كذلك. قال المُؤذِّن بادي القلق:

- ماذا يريد منا الملك؟

فأجاب الإمام مُطمئِنا إياه:

- مـن الواجـب أن يتحـدَّث معنـا، إنـه الملـك الجديد. لا شـكّ أنـه يحرص عـلى معرفـة مهامنا في المسـجد!

رافقهـم الوزيـر إلى القـصر وأدخلهـم إلى حجـرة الانتظـار، حيـث قضـوا الليلـة. وفي الغـد قـال الملـك للوزيـر:

- أين هم؟
- إنهم في الحجرة المجاورة، بحيث يستطيعون سماعك منها!
- أحضر لي الأول!

أتى الوزير بأحدهم فقال له الملك:

- اجلس! ثمّ سأله:
- ما هي حرفتك؟
- أنـا مـؤذِّن المسـجد، يـا مـولاي، أقـوم وسـط الليل للتسـبيح باسـم الله وتنبيـه المسـلمين إلى وقـت الصلاة.
- ليس هذا ما أقصد!

- ماذا إذن؟ يا مولاي!
- كيف تقضي ساعات الليل!

وعندما سمع المُؤذِّن هذا الكلام من الملك جفَّ ريقه.

اعترف قائلاً:

- حين ينبح الكلب، يا مولاي، أفهم ما يقول!
- حسناً! هذا ما كنت أرغب في معرفته. واستدار نحو الوزير، وأضاف:
- احبسه في غرفة أخرى، وأحضر لي الثاني!
- وأنت، ما هي مهنتك؟
- أنا إمام المسجد، يا مولاي. أؤم صلاة المسلمين، ولا أغفل عن ذلك أبداً.
- ليس الأمر مُتعلِّقاً بذلك، بل بانشغالاتك، في الليل!
- إنني، يا مولاي، أستطيع حين أشم أمام جدار، وأن أعرف ما يجري وراءه!
- حسناً! ذلك ما كنت أريد أن أعرف.

وألحقه الوزير بزميله المُؤذِّن، وجاء بالشريك الثالث، فسأله الملك حين مَثُلَ أمامه:

- وأنت، ماذا تعمل؟
- إنني، يا مولاي، أدرس الكتب المُقدَّسة، وأشرح للمؤمنين كلام الله ورسوله!
- لم أسألك عن هذا، بل عَمَّ تقوم به، أثناء الليل؟
- إنني، يا مولاي، أثقب الجدار ثم أجعله كما كان!
- حسناً! هذا ما كنت أسعى إلى معرفته!

ولما انتهى الاستنطاق، أمر الملك الوزير بإحضار حارس الخزينة. وذهبوا جميعاً إلى مكان السرقة. قال الملك:

- افتح الباب!

دخل الملك وأحصى صناديق الذهب، ولما كان ينقص منها أربعة، سأل الحارس:

- أين هي؟

- علمي علمك، يا مولاي، إنني لم أعهد بمفاتيحي لأيٍّ كان!

تحدَّث الملك مع وزيره وأفراد حاشيته.

- لا أحد منكم، يستطيع أن يقول كيف تمكَّن اللصوص من الدخول إلى هنا؟

تفحَّصوا الجدار زوايا وخبايا ولم يكتشف أحد أثراً يدل على اختراقه. فقالوا:

- لم يلمس أحد هذا الجدار! واسترسل الملك قائلاً:
- فكِّروا جيّداً، غداً، عندما أحدِّثكم عن هذا الأمر، لا تعارضوني، ما دمتم تعترفون بجهلكم، سأستطيع أن أقول لكم، أنا، كيف نهبت الخزينة!

وعندئذ تناول الكلمة فقال:

- إليّ بحطامٍ مليء بالجمر!

ولمّا أتوه به مع التبن، طلب من الناس الخروج، ثمّ وضع التبن فوق الجمر، وخرج هو الآخر، بعد أن أغلق الباب، وسدَّ بعناية كلّ المنافذ، وطلب من الجميع أن يتبعوه. فتبعه الملك وأولئك الذين كانوا جالسين هناك.

ومضوا خارج القصر لمعاينة الجدار من الجانب الآخر، كان الوزير

يلاحظ بانتباهٍ كبير، وعندما رأى الرطوبة، وهي تظهر وتنتشر فوق الجزء المثقوب من الجدار، قال:

- *من هنا دخل اللصوص!*

وبضربةٍ من قبضةِ يده حطَّم الجزء المسدود الذي لم يكنْ قد جَفَّ بعد، فصاح الناس مدهوشين:

- *تغمَّد الله والديك برحمته الواسعة! لم يجد الزمان بإنسان في مثل ذكائك!*

وعند العودة إلى المشور، استدعى الملك فقهاء القانون وسألهم:

- *ماذا يقول الشرع في شأن الذين ينتهكون حرمة قصر الملك؟*
- *الشرع يأمر بقطع رؤوسهم وعرضها على مشارف المدينة!*

قال الملك للوزير:

- *اذهب مع هؤلاء الرجال لاسترجاع صناديق الذهب التي سرقوها.*

وأضاف:

- *لو هرب واحد منهم، لقطعت رأسك مكانه!*

وخرج اللصوص مكتئبين، محاطين بالوزير ورجال الشرطة. وخلال الطريق، قال لهم الوزير:

- *سيدشن هذا الملك الشاب عهده بقطع رؤوسكم.*

وشرع المذنبون الثلاثة يتوسَّلون إليه:

- *سيدي الوزير، ها نحن تحت رحمة الله ورحمتك! دبّر لنا وسيلة تخلصنا من هذه الورطة!*

- إذا كان لديكم المال، فلا تخشوا شيئاً، سيكون كلّ شيء على ما يُرام! عندما ستساقون إلى مكان القصاص، ستطالبون بإحالتكم على القضاء، سيعيدونكم إلى الملك، وحين سيسألكم عن أيّ قضاء تزعمون الالتجاء إليه، ستجيبون بكلّ بساطة: «إنّ وزيرك، يا مولاي، سيتكفَّل بالدفاع عنّا!».. والتزموا بإعطائه المال مقابل تفضله بالسعي في إنقاذهم.

وأعادوا الصناديق، فوضعها الملك في الخزينة. ثمّ دقَّت ساعة المضي بهم إلى المكان الذي تقطع فيه رؤوس المُذنبين المُدانين. ولم يكد السياف، الجاثم فوق رؤوسهم، يلوح بسيفه مرّةً ومرّتين حتى صاحوا مطالبين بالعدالة.

سمعهم الملك فقال:

- أعيدوهم إليّ! ثمّ سألهم عندما مَثلوا بين يديه من جديد:
- أيُّ عدالة تنشدون؟

فقالوا تماماً: ما كان متفقاً عليه مع الوزير:

- وزيرك هو الذي سيتكلم باسمنا!

تقدَّم الوزير، وقف أمام الملك، وشرع في مرافعته:

- مولاي، لا تقطع رؤوس أناس في منزلة هؤلاء، أي ملك، لا يستطيع أن يتباهى بأن في مملكته مثل هؤلاء الرجال الموهوبين. اعفُ عنهم. فقد تحتاج إليهم ذات يوم، وعندئذ سترى أن خدماتهم هي أثمن من كلّ الثروات المُكتنزة في الخزائن!
- دعك من هذا الأمر! لست في حاجة إلى سماع مثل هذا الكلام! ثمّ، لو أني أخليت سبيلهم، ألا يمكن أن يلجأوا إلى اقتراف جرائمهم في أماكن أخرى؟!
- عيِّن لهم هبةً سخيّة تُمكِّنهم من العيش عيشةً شريفة. وأكيد أنهم لن يعودوا مرّةً أخرى للسرقة.

- أَلمْ أقُل لك، إني لا أريد سماع مثل هذا الحديث؟ لست أنا الذي يأمر بعقابهم، بل القانون هو الذي يفرض ذلك!

- في هذه الحالة، يا مولاي، القانون يأمر بأن يُقطع رأسك، أنت الأول!

- كيف؟

- أنت أيضاً، انتهكت حرمة الدولة. من الذي دخل لأخذ الصناديق؟ مَنْ أعطاها لهم حتى قالوا: يكفينا هذا؟!

واستقبلت القاعة خطاب الوزير بالتصفيق. فقال الملك:

- انصرفوا! لقد أنعمت عليكم بالعفو.. إنما اذهبوا واسكنوا في بلادٍ أخرى، لا أريد أن أراكم هنا أبداً!

حكاية ثلاثة رجال

كان ثلاثة رجال أصدقاء. بينما كانوا يسيرون يوماً قال أحدهم:

- «إنه جمل أبيض هذا الذي مَرّ من هنا!
- إنه أعور العين اليمنى! قال الثاني.
- إنه مقطوع الذيل، قال الثالث.

تابعـوا طريقهـم، وإذا بفـارس، لم ينتبهـوا لوصوله، وقـف بالقرب منهم. سألهم:

- أيها المسافرون، ألم تروا جملاً؟
- هل هو أبيض؟ سأله الأول.
- نعم!

- هل هو أعور العين اليمنى؟ قال الثاني.
- نعم!
- هل ذيله مقطوع؟ قال الثالث.
- نعم!

وأضافوا:

- «غير أننا لم نرَ شيئاً، تابع طريقك!

دهش الفارس:

- ماذا تحكون لي هنا؟ كيف، لم تروا شيئاً! أنتم الذين سرقتم جملي، لنذهب إلى الملك!».

مثلوا أمام الملك:

- «أعيدوا الجمل إلى صاحبه! قال لهم.
- لكننا لم نأخذ شيئاً. أطال الله أيامك!
- كيف استطعتم إذن أن تميّزوا أوصاف الجمل؟

نهض الأول وقال:

- «أنعم الله عليك، أيها الملك! لقد لفتت انتباهي آثار أقدام، فلاحظت المكان الذي دار منه الحيوان، ورأيت هناك شعيرات بيضاء، وعرفت بالتالي أنه جمل، وأنه أبيض اللون.

قال الثاني:

- بارك الله فيك، يا مولاي، لمّا نظرت إلى حافة الطريق، لاحظت أن هذا الجمل كان يرعى على جانب واحد فقط، وعلمت بالتالي أنه كان أعور.

قال الثالث:

- يرعاك الله، أيها الملك، لاحظت أن بعراته، مع احترامي لشخصك، كانت تسقط كومة ضخمة، لو لم يكنْ ذيله مقطوعا، لكان شتتها بذيله. وهكذا علمت أنه ليس لديه ذيل!».

ذُهِلَ الملك من قول الرجال الثلاثة. أدخلهم إلى غرفة وقدَّم لهم طعام العشاء. تذوَّقوا الطعام.

- إنه لحم كلب، قال الأول.
- المرأة التي طبخت هذا الكسكس كانت حائضاً، قال الثاني.
- هذا الملك ابن زنا، قال الثالث.

أين تراك كنت إذن أيها المخزني؟ أنت الذي فاجأت أحاديث هؤلاء الرجال، ونقلتها إلى الملك! جاء إليهم الملك.

- هل يمكنكم أن تعيدوا ما قلتم منذ قليل؟
- ولكننا لم نقلْ شيئاً، يا مولانا!
- بلى، لقد سمعتكم!
- إذا ما قلنا شيئاً سيئاً، نرجوك أن تغفره لنا. لا حدود لكرمك، استرنا بحمايتك، يا سيدنا!
- وحقّ أبيكم، سأذهب لاستجواب الأشخاص الذين جعلتموهم موضع اتهام، وإذا كذبتم، لن تروا إلّا سوادا!».

طلب الراعي.

- من أين جاء الخروف الذي ذبحناه بالأمس؟
- اشتريناه من فلان. طلب إحضار البائع.
- بارك الله فيك، أيها الملك! اصفح عني، وسأتكلَّم!
- تكلَّم، أقسم لك أمام الله.

- حسناً، نفقت النعجة، التي وضعت الخروف، بعد بضعة أيام. كانت لديّ كلبة، ترضع جراء، جعلتها ترضع الخروف حتى كبر. هذا ما كتب الله عليّ!

- اذهب، قال له الملك، في أمان الله!

مضى الملك إلى نسائه:

- «مَنْ التي طبخت كسكس أمس مساءً؟

تقدَّمت تلك التي طبخته:

- أنا، يا سيدي!
- هل كنت حائضاً؟
- نعم!

ظلّ الملك مستغرقاً في التأمُّل لحظةً، ثمّ قال لهن:

- اطبخن لي عصيدة ولتكنْ حامية جدّاً!

عندما طبخت العصيدة، نادى الملك أمه:

- اجلسي، قال لها، وكلي معي!

مدَّت يدها لتتناول لقمة، أمسك بها الملك وأغرقها في الطبق الساخن قائلاً:

- والله، لن أطلقك حتى تخبريني أنا ابن مَنْ؟

استولى عليها الخوف. قالت:

- لن أتكلَّم حتى تعاهدني أمام الله على أن تصفح عني!

- صفحت عنك، تكلَّمي!
- بُني، لقد أضلني الشيطان، حين كنت صغيرة. فارتكبت خطيئة، والدك هو فلان!»

عاد الملك إلى هؤلاء الرجال، قدَّم لهم هدايا، وثياباً، وخيولاً، وجعلهم وزراء، واستشارهم في كلّ شيء.

الحطَّاب والأدوات السحريّة

كان رجل حطَّاب يعيش فقيراً من مورد رزقه، في كلّ صباح كان يضع البردعة على ظهر حماره ويأخذ فأسه ويذهب إلى الغابة لجلب الخشب وبيعه كي يُعيل نفسه وزوجته. وذات يوم، أراد أن يقطع شجرة زيتون بريّة. فربط حماره جانباً، وتناول فأسه، وهوى على جذع الشجرة بضربة أولى، وثانية، ولكنه لم يكد يتم الضربة الثالثة، حتى انبثق أمامه جنيّ في هيئة زنجي. هرع الحطَّاب إليه وقبَّل يده، فقال الجنيّ:

- والله، لو لم تبادرني بالسلام، لكنت شربت دمك في جرعة، والتهمت لحمك في لقمة! ما هي رغبتك؟

- إنني فقير، يا مولاي، والمهنة التي أمتهنها هي قطع الأشجار.

- خذ هذه المطحنة، وحين تعود إلى بيتك، قلْ لها اطحني، أيتها المطحنة؟! وستطحن لك قوت يومك؟!

حمل المطحنة على ظهر حماره، وعاد إلى داره. فسألته زوجته:

- لِمَ لَمْ تأتِ بالخشب؟ تريد أن ننام بلا عشاء؟!
- أنزلي هذه المطحنة عن ظهر الحمار؟!
- ماذا تريد أن أفعل بها؟
- خذيها، قلت لك، واهدئي؟!

أخذت المطحنة، وأدخلتها إلى غرفتها، بينما أخذ زوجها يشرح لها طريقة استخدامها:

-عندما تريدين إعداد الطعام، ما عليك سوى أن تقولي لها: «اطحني، أيتها المطحنة؟!» وجرَّبتها في الحال: «اطحني، أيتها المطحنة؟!»، وإذا بالمطحنة تدور والدقيق يتكدَّس.

ولمَّا حصلت على ما يكفيها قالت: «توقَّفي؟!» فتوقَّفت المطحنة، واستمرَّت بهما الأيام، على هذه الحال، وهما يعيشان في يُسرٍ ورخاء، رغم أن الحطَّاب لم يعد إلى غابته.

غير أن امرأةً عجوزاً لم تلبث أن لاحظت ذلك، فجاءت إليهما ذات يوم. وكان الزوج غائباً عن البيت. فاستقبلتها زوجته بحفاوةٍ وترحاب، وقدَّمت لها الطعام والشراب، وأثناء الحديث قالت لها العجوز:

- كيف تيسَّر لكم كلّ هذا العيش الرغيد؟
- لا أُخفي عنك سراً، يا عزيزتي، كلّ شيء بفضل هذه المطحنة التي أتى بها زوجي، كلما احتجت إلى الدقيق، أطلبه منها، فتعطينا إياه.
- أرجوك، يا أختاه، أن تعيريها لي، لتعطيني قليلًا من الدقيق، وسوف أُعيدها إليك قريباً. وأعارتها لها. وحملتها العجوز وألقت بها في مطمورة. وعندما أرادت المرأة، بعد فترة قصيرة، استعادة مطحنتها، أعطيت لها مطحنة أخرى. حملتها إلى بيتها، وقالت لها: «اطحني، أيتها المطحنة؟!»، لكن المطحنة لم تتحرَّك، وظلَّت مستغرقة في التفكير

حتى جاء زوجها:

- قومي، هيئي شيئاً نأكله؟!
- ليس عندي شيء أُقدِّمه لك، فالمطحنة، غاضبة، لا تريد أن تطحن!

ومرّة أخرى، قام الحطَّاب، وضع البردعة على ظهر حماره، تناول فأسه ومضى قاصداً جذع شجرة الزيتون البريّة. ضرب أولى، وثانية، وعند الضربة الثالثة أصاب الجنيّ. هرع إليه وقبَّل يده، فقال الجنيّ:

- والله، لو لم تبادرني بالسلام، لكنت شربت دمك في جرعة، والتهمت لحمك في لقمة! خذ هذه القصعة! كلَّما أردت أن تأكل، ما عليك إلّا أن تغطيها وتقول لها: امتلئي، أيتها القصعة، بالكسكس؟!».

وضع الحطَّاب القصعة على ظهر حماره وحملها إلى زوجته.

- عندما تريدين أن تقدِّمي لنا الطعام، ما عليك إلّا أن تغطيها وتقولي: امتلئي، بالكسكس، فتمتلئ! وظلّا يعيشان على هذه الحال، حتى علمت العجوز بالأمر، وانتظرت حتى خرج الزوج.

وذهبت إلى زوجته لكي تستقصي منها الخبر:

- من أين لكم بهذا اليسر؟
- لقد أتى زوجي بهذه القصعة، عندما نريد أن نأكل، نطلب منها أن تمتلئ، بالكسكس، فتمتلئ!
- من الواجب أن تعيريها لي فترة قصيرة! فأعارتها لها.

حملتها العجوز ومضت لتلقي بها في المطمورة إلى جانب المطحنة، ثمّ أعطت للمرأة قصعةً أخرى حين جاءت لاسترداد قصعتها. ولمَّا عاد الزوج طلب من زوجته الطعام، فغطت القصعة، وقالت: «امتلئي بالكسكس». وحين ألقت عليها نظرة، وجدتها فارغة، فقالت لزوجها:

- القصعة غضبانة، لم ترد أن تمتلئ بالكسكس!

ومن جديد، رمى الحطَّاب البردعة على ظهر الحمار، وتناول الفأس، وقصد الغابة. توقَّف عند جذع شجرة الزيتون وضرب ثلاث ضربات، وعند الضربة الثالثة خرج الجنيّ فحيَّاه الحطَّاب كما في المرّة السابقة فقال الجنيّ:

- ألا تعلم بأنني ناسِك حتى تأتي لإزعاجي بضربات فأسك هكذا في كلّ مرّة! خذ هذه القطة!
- وماذا عساي أفعل بهذه القطة، يا مولاي، ومن أين لي أن أطعمها؟
- حين تحتاج إلى النقود، ستقول لها: قفي، يا قطة، على قائمتيك الخلفيتين!».

أخذ معه القطة، وحين رأتها زوجته صاحت:

- لم يكنْ ينقصنا إلّا هذه القطة!
- احبسيها في غرفتك، واصمتي! وعندئذ قال الرجل للقطة:
- قفي على قائمتيك! فرفعت القطة قائمتيها الخلفيتين، وإذا بقطع من النقود الذهبية تنهمر من قائمتيها الأماميتين.

وظلَّت تغمرهما بالذهب كلّما احتاجا إليه، حتى أثار ذلك انتباه العجوز، فسألت المرأة:

- من أين لكم بكلّ هذه الثروة؟
- ليس بيني وبينك سر، يا أختاه، كلّ شيء بفضل قطة أتى بها زوجي: وروت لها القصة.
- أرجوك، يا أختاه، أن تعيريها لي، لتعطيني قليلًا من الذهب وسأعيدها إليك! وحملتها ومضت لتلقي بها في المطمورة إلى جانب القصعة والمطحنة، ثمّ حملت إليها قطة أخرى. وعندما طلبت منها أن ترفع قائمتيها، حدّقت فيها بذهول، دون أن تفهم شيئاً. وحين عاد

زوجها قالت له:

- القطة غضبانة، إنها ترفض أن تقف على قائمتيها!

وتوجَّه الحطَّاب مرّة أخرى إلى الغابة.

وهوى بفأسه على شجرة الزيتون بثلاث ضربات، وعند الضربة الثالثة ظهر الجنيّ. وفي هذه المرّة أعطاه سبعاً من العصي الغليظة.

- ماذا أفعل بهذه العصي، يا مولاي، وأنا لا علم لي بالصيد.
- ستظهر لك نفسها ما تحسن عمله عندما تأمرها بذلك.

أخذ العصي، وضع أربعاً منها في خرج وثلاثاً في الخرج الآخر. وفي الطريق خطر له أن يختبر مهارتها على الحمار. ولم يكد يطلب منها أن تقوم بعملها، حتى انهالت على الحيوان بالضرب المبرح، فصاح عليها: «كفى!» فعادت العصي إلى أماكنها في الخرج.

ولمَّا وصل إلى بيته، أطلقها على زوجته، فأشبعتها ضرباً، وهي تصرخ وزوجها يصيح:

- لمن أعطيت المطحنة والقصعة والقطة؟
- أعطيتها للعجوز!

ومضى إليها مع العصي، وناداها:

- أعيدي إليّ المطحنة والقصعة والقطة التي أعارتها لك زوجتي!
- والله، يا بني، لقد أعدتها إليها كلّها؛ واحدةً بعد أخرى!
- إلعني الشيطان!
-أبداً، لقد قلت لك الحقيقة.

ولمّا رآها مُصَّرة على وقاحتها، أمر العصي بعقابها. فتهاطلت عليها من كلّ جانب فأنهكتها بالضرب. فظلَّت تصرخ من الألم، ثمّ اعترفت في

النهاية.

- *إنها في المطمورة.*

وعندئذ ذهب الحطَّاب وزوجته إلى المطمورة، وأخرجا منها المطحنة والقصعة والقطة. وظلَّت المطحنة تطحن لهما الدقيق والقصعة تمتلئ بالكسكس، والقطة تغدق عليهما الذهب...

الحلَّاق العاشق

أُغرم حلَّاق بابنة عمه، ورغب في الزواج منها. ولكن المربية، التي كانت ترعاها، أصرَّت على رفض هذا الزواج. ومن جهته، ظلّ الحلَّاق يرفض قبول النقود من زُبُنه. كان يقول لمَنْ يأتي للحلاقة والحجامة عنده، حين يريد الأداء:

- إنني أحتقر النقود، ولا أنشد إلّا صداقة الرجال!

وذات يوم، قَدِمَ إلى حانوته عربيٌّ، وفي لحظة الأداء، امتنع الحلَّاق قائلاً:

- أنا لا أقبل النقود، إنني لا أعطي قيمة إلّا للصداقة!

ورجع العربيُّ إلى بلده. وبعد شهر أو شهرين، عاد للحجامة عند

الحـلَّاق، وتلقَّـى منـه الجـواب نفسـه، حينـما أراد الأداء، فسـأله:

- *ماذا حدث لك، حتى صرت تحتقر نقود الناس؟*

وشرح لـه الحـلَّاق أنـه كان مغرماً بابنة عمـه، ويرغب، رغبةً شـديدة، في الـزواج منهـا، ولكـن مربِّيتهـا أصرَّت على رفض هـذا الزواج.

وانطلـق العـربيُّ مـن سـاعته إلى حـدَّاد، وطلـب منـه أن يصنـع لـه ملقطاً ومطرقـة، ثـمّ عـاد بهـما إلى بيـت الحـلَّاق ليقـضي معـه النصـف الأول مـن الليـل. وفي هـذه الأثنـاء، كان الحلَّاق قـد دله على منزل ابنة عمه، فتسـلّل إليـه في الظـلام، حامـلاً معـه ملقطـه ومطرقته، وتسـلَّق الجـدار، ونزل إلى الحـوش، وظـلّ يبحـث عـن هـذه المـرأة، حتى عـثر عليهـا نائمـة إلى جانب الفتـاة. وجرَّهـا من أنفهـا بملقطـه، فصاحت:

- *من هذا؟*
- *هذا أنا، ملاك الموت!*

وسألها، مثلما يفعل الملاك مع الميت في ليلته الأولى بالقبر:

- *لماذا تصرّين على رفض زواج الحلَّاق بابنة عمه؟*
-*لا أريد أن أعطيها له!*

وبـات طـوال الليـل يُعذِّبهـا. ويجبرهـا بالـضرب والأسـئلة وعنـد بـزوغ النهـار، اختفـى. وأمـضى اليـوم التـالي مـع صديقـه الحـلَّاق. وفي المسـاء، تسـلَّق دار ابنـة عمـه ودخـل إلى الغرفـة التـي كانـت تنـام فيهـا المربِّيـة العنيـدة. وجرَّهـا مـن أنفهـا بالملقـط، فاسـتيقظت:

- *ماذا تريد مني؟*
- *أن تعطي الفتاة لابن عمها الحلَّاق!*

وحتى لا يُعذِّبها، كما في الليلة السابقة، قالت موافقة:

- سأعطيها له!

وحمل العربيُّ البشرى إلى الحلَّاق:

-غداً، سترسل أهلك لطلب يدها والاتفاق على المهر.

ولما طلع النهار، بعث إليها برسله، ولكنهم عادوا إليه خائبين.

- إنها لا تريد أن تسمع شيئاً!

ورجع إليها العربيُّ من جديد، ليعذِّبها مثل الليالي السابقة، وفي هذه المرّة جنَّت من الرعب، فقالت:

- ابتعد عني، وغداً، إنْ شاء الله، سيكون ما تريد!

وفي الصباح، أعطت موافقتها، أخيراً، لرسل الحلَّاق. وهكذا تمّ زواج الحلَّاق بابنة عمه، وأُقيم له عُرسٌ كبير. وفي يوم رحيل العربيّ إلى بلده، أسدى لصديقه الحلَّاق نصيحة فريدة من نوعها:

- إياك أن تقبل غريباً ضيفاً بالليل!

ثمّ استأذنه بالانصراف.

وبعد فترة من الزمن، بينما كان رجلٌ ماراً بالقرب من منزل الحلَّاق، رأى زوجته بارعة الجمال، فطفح عقله، حالاً، بنيات سيئة. وطرق باب الحلَّاق، طالباً منه ضيافة الله، فقال له:

- ليس من عادتنا أن نستضيف العابرين، بالليل!
- لكنني لا أرغب إلّا في طعام العشاء، في الاصطبل، أمّا الليل، فسأقضيه في المسجد!
- في هذه الحالة، مرحباً بك!

وأدخله إلى بهوٍ يُستخدَم مأوى لحصان رَبّ البيت، وتجاذب معه أطراف الحديث، بانتظار إعداد الأكل، ثمّ قدَّم له طعام العشاء، ليتناولاه معاً. غير أن الضيف دفع المصباح، فسقط وانطفأ. ولما نهض الحلَّاق، ومضى لإحضار جمرة يُشعل بها المصباح، استغلَّ الضيف فرصة غيابه، فصبَّ مسحوقاً مُخدِّرا في الطبق، من الجهة التي كان يأكل منها الحلَّاق.

وأشعل الحلَّاق المصباح، وعاد إلى مكانه، ولكنه ما كاد يتناول بضع لقم حتى قام مُترنّحاً وسقط مغمى عليه، ونهض الضيف مسرعاً إلى الحسناء، وأركبها على صهوة حصانه وانطلق هارباً.

وهكذا اُختطفت زوجة الحلَّاق. أمّا الحلَّاق فظَلّ مغمى عليه حتى أيقظته رطوبة وبرودة الليل، التي تسرَّبت إليه من فناء الدار، ولكنه حين أفاق لم يعثر للمرأة على أثر: لقد خطفها الضيف!

وعاش الحلَّاق مفصولاً عن زوجته حتى قَدِمَ العربي لزيارته ذات يوم، وسأله:

- أين زوجتك؟
- لقد اختطفها رجل استضفته في بيتي!
- ألمْ أنصحك بأن لا تستقبل أبداً غريباً بالليل!

وفكَّر العربي في وسيلة يساعد بها الحلَّاق، على استرجاع زوجته المُختطَفة بالخديعة. ومضى إلى المدينة واشترى بضائع قديمة لبائع مُتجوِّل، وقبعتي يهودي. اعتمر واحدةً وأعطى الحلَّاق الأخرى. وهكذا انطلقا، منتحلَيْن صفة تاجرين مُتجوِّلَيْن، عبر أنحاء البلاد. وهما يناديان: يا-أيّور!، يا-إثْري! بهذين الاسمين الأليفين، القمر والنجمة، كان الزوجان يتناديان.

وهكذا حتى وصلا إلى المكان الذي كانت فيه الحسناء. وظلّا يطوفان

من بابٍ لباب، وهما يصيحان: يا قمر! يا نجمة! حتى سمعتهما الحسناء ذات يومٍ، وخرجت لتشتري شيئاً، فتعرَّفت إلى زوجها وصديقه.

ثمّ تقدَّما طالبين الضيافة من صاحب المنزل، فقال لهما:

-لا يدخل أبداً ضيف الله إلى بيتي بالليل!
- لكنك لن تخشى شيئاً من يهوديين مسكينين مثلنا!

وأدخلهما إلى غرفة تُستخدَم ممراً واصطبلاً، وناما هناك حتى مطلع الفجر. وفي هذا الوقت، استيقظ الرجل ومضى ليصلي في المسجد. وحينئذ نهض الصديقان وأيقظا المرأة، ولاذوا جميعاً بالفرار.

وحين عاد الرجل إلى بيته، ولم يجد أثراً للمرأة، أسرج حصاناً، وانطلق مقتفياً آثارهم. وبينما هم سائرون في الطريق، التفتت المرأة إلى الوراء، فلمحته قادماً، وصاحت:

- إنه يطاردنا!

وعندئذ قال العربيُّ:

- تابعا طريقكما، ولا تنتظراني، سألحق بكما فيما بعد!

وتوقَّف، وأخرج موسى حلاقة، وجرح بها رأسه ووجهه ويديه. ولما أقبل عليه الفارس، وجده يتأوَّه مضرجاً بالدم، فسأله:

-ألمْ يمرّ من هنا رجلان وامرأة؟
- يا إلهي! إنهم هم الذين فعلوا بي ما ترى! أردفني خلفك، وهيا بنا نلحق بهم، فأنتقم لنفسي منهم!

فمدَّ له يده، وأردفه خلفه، وما كاد يستوي على صهوة الحصان حتى ذبحه العربيُّ ورمى به إلى الأرض، ثم انطلق بالحصان، فلحق برفيقه، وسار معه إلى منزله، رفقة زوجته التي اختطفها منه ضيف الله.

وأقام عند صديقه الحلَّاق، عشرة أيام، وربما أكثر، ثمَّ استأذنه بالانصراف، قائلاً آهٍ:

-لا تنس هذه المغامرة، غداً إذا تقدَّم إليك غريب طالباً منك ضيف الله، كنْ على يقين، أنه سيختطف منك زوجتك، تماماً كما فعل ضيفك الآخر، إذا أنت منحته ثقتك!

وعاد العربيُّ إلى بلده وذويه.

ومَرّ عامٌ، وذات يوم، قال العربيُّ في نفسه: يجب أن أختبر صداقة الحلَّاق، الذي انتحلت من أجله صفة ملاك الموت، وهيئة تاجر مُتجوِّل. تراه يضحي من أجلي، كما ضحيت أنا من أجله!

ومضى لزيارته، وقضى عنده الليلة، وفي الصباح، قال له، وهو يهم بالانصراف:

- إنني مريض، يا صديقي! ولا دواء لي، حسب أقوال الناس، إلّا كبد ابن حلَّاق!

وقدَّم الحلَّاق ابنه للعربيّ. فذهب به، وأرسله ليدرس في المسجد. وبعد عام، أتى لزيارته مرّةً أخرى، وقال له:

- إنني ما زلت مريضاً، يا صديقي! ولكي أُشفى، لابد لي من كبد ابنتك!

وأعطاه الحلَّاق ابنته. فمضى بها وأدخلها، هي الأخرى، إلى المسجد. وفي السنة التالية، عاد إلى صديقه الحلَّاق، الذي كان قد وُلِدَ له طفلٌ آخر، وقال له:

- لقد قِيل لي، إن كبد ابنك هو دوائي الوحيد!

فسلَّمه ابنه الأخير. ومضى به العربيُّ إلى المسجد، ليدرس إلى جانب أخيه وأخته الصغرى، دون أن يعرفهما. بينما كان الحلَّاق يعتقد أن

صديقه الطيب قد تغذَّى بكبد أولاده لكي يُشفى من مرضه.

وانصرمت فترة من الزمن، سنة، وربَّما أكثر من ذلك، وذات يوم، حمل العربيُّ فوق ظهر الدواب أكياساً من القمح والشعير، والسمن. وأركب الولدين كلا على حصان، والطفلة على ظهر بغلة، وامتطى هو نفسه صهوة حصانه، وانطلقت القافلة الصغيرة في طريقها إلى منزل الحلَّاق، لتتوقَّف أمام الباب. خرج الحلَّاق. وتبادل مع صديقه عبارات الترحاب، ثمَّ قال متسائلاً:

- *وهؤلاء إلى أين هم ذاهبون؟*

فردَّ عليه العربيُّ:

- إنهم أبناؤك، الذين وهبتهم لي، وها أنا ذا أُعيدهم إليك. لقد كنت أودّ أن أختبر صداقتك، وأعرف إنْ كنت معترفاً بجميل الخدمات التي أسديتها إليك. وها نحن الآن إخوة ولسنا أصدقاء فحسب. هكذا يجب أن يتصَّرف أبناء الأسر الطيبين!

الصديقان

كان رجلان مرتبطين بعلاقة صداقة وثيقة إلى درجة أنهما لم يمونا يفترقان لا نهاراً ولا ليلاً. ذات يوم، عرض أحدهما على رفيقه أن يحلق له شعره. قال له:

- *هات بالماء، سأرطِّب رأسك!*

وحلق له شعر رأسه، ثمَّ قال له:

- *بلِّل لحيتك، سأحلقها أيضاً!»*

وحلق له شعر لحيته، وعندما كانت موساه تمرّ بحنجرته، قال له:

- *«لو قتلتك، ماذا سيقع؟*

- سيفضحك الملك الكبير عند (السلطان) الصغير.

ذبحه وهو يقول له:

- اذهب واطلب من الملك الكبير أن يُعيد لك تنفسك إلى صدرك!».

وبعد مرور بعض الوقت، أراد القاتل أن يرى مرّةً أخرى، المكان، الذي كان، في أيام الحرث، قد قتل صديقه. وهناك، وجد تعريشة مُحمَّلة بالفواكه. مضى إلى السلطان وقال له:

- ماذا تعطي للشخص الذي يقدِّم لك العنب في غير موسمه؟
- سأكافئه، بنعمة الله!

وعاد بسلَّة مليئة بالعناقيد وعرضها على السلطان. قال له:

- أفرغ سلَّتك!

أدخل الرجل يده في السلة لتفريغها وأخرج منها رأساً دامياً تماماً، كما لو كان قد قُطِعَ للتو. صاح السلطان:

- ما هذه الجريمة البشعة التي ارتكبتها إذن؟
- عدني بأن تصفح عني، وسأقول لك الحقيقة! تحدَّث:
- هذا الرجل كان أفضل صديق لي، لم يؤذني أبداً، ومع ذلك قتلته! ما أنا إلّا خائن!

استدعى السلطان إليه العلماء، وقال لهم:

- ما العقاب الذي ينص عليه القانون لقتل شخصٍ بريء؟ ليقطع رأس القاتل ويُرمَى به في النار!».

حكاية «بَرّيوَة»[1]

كان هناك زوجان. تُوفي الزوج تاركاً زوجته حاملًا. ذات يوم، بينما كانت تنقي الشعير وجدت بينه «بَرّيوَة» ماعز فقالت: «يا ربي، ارزقني بصبي كبير مثل هذه البَرّيوَة» وأخذت تنقي شعيرها من جديد، وهنا عطست، وإذا بطفلٍ ليس أكبر من بَرّيوَة سقط من أنفها: «ماما! صاح. ولكني لست أمك! بلى، شئت أم أبيت! (ودُعي باسم بَرّيوَة). اذهب إلى دار جدتك، كي تعطيك كسوتك!».

ذهب إلى دار جدته، طرق الباب، وناداها: «جدتي! أجابت: ولكن ليس لديّ بعد حفيد لكي تناديني هكذا! قال: بلى، شئت أم أبيت، أنا هو حفيدك!

(1) بَرّيوَة: بترقيق الراء واحدة البَرَيوْ: روثة الماعز.

خرجت لتراه، نظرت في كلّ اتجاه، فلم تره. «جدتي! ناداها. أحنت نظرتها إلى الأرض فوجدته قرب كاحلها، ولكن رأته صغيراً جداً ودخلت وأغلقت الباب. مَرّ من خلال شقٍ عالٍ. فأعطته عندئذ كسوته وأعادته إلى منزل أمه مع تمر وحناء.

عند عودته، قالت له أمّه: اذهب لترعى الغنم!» أخرج القطيع وقفز إلى أذن أسمن خروف.

جاء ابن آوى، فوقع نظره على هذا الخروف، وبينما كان يستعد لأكله، قفز بَرّيوَة من أذن الخروف إلى أذن ابن آوى، صاح بَرّيوَة بكلّ قواه، فظن ابن آوى أن الراعي هو الذي هرع إليه. فأسرع بالفِرار. ولكن، لمّا وقف كي يتنفَّس الصعداء، صاح بَرّيوَة بأعلى صوته، فجُنّ جنون ابن آوى من الرعب، وأسرع بالفِرار مرّةً أخرى.

وركض هكذا إلى أن قبض عليه في السوق وقضى عليه الناس.

رجع بَرّيوَة إلى غنمه، وعاد إلى مكانه في أذن الخروف. ومن هنا كانت تمرّ قافلة. أخذ الناس ينادون: «أيها الراعي!» ولمّا لم يروا أحداً هناك، اقتربوا، وأخذوا الخروف الذي كان بَرّيوَة في أذنه، فذبحوه. قفز بَرّيوَة من الأذن التي كان فيها وصاح بكلّ قواه، فارتاع هؤلاء الناس، الذين ازدادوا رعباً لمّا لم يروا أحداً هناك، وفرُّوا وصياح الراعي يلاحقهم. وعندما اختفوا وتشتتوا، عاد إلى القافلة، وساق البهائم نحو منزل أمّه وقال لها: هذا الرزق الذي أرسله الله لنا! ثمّ أضاف: تتذكرين، يا أمي، اليوم الذي وُلِدَت فيه من أنفك؟ وناديتك باسم أمي وأجبتني: لا، لست ابني! قالت: بلى، أنت ولدي ولله الحمد!».

اليتيمان والخاتم السحريّ

كان صبي وبنت صغيرة يتيمين. لم يعلما لهما مأوى، فأقاما في كهف. قالت البنت الصغيرة:

- *«عندما سنجد قصراً، سوف نسكن فيه!»*

جاء إليهما ثعلب، وكان لهذا الثعلب خاتمٌ في ذيله: حين تديره، وتغمض عينيك، تجد نفسك أمام صحن من الكسكس واللحم.

قالت البنت الصغيرة لأخيها:

- *«هيا نسرق منه خاتمه!»*

فسرقاه منه. قالت البنت الصغيرة:

- *«أدره، لَعلّ الله يبني لنا قصراً !»*.

أغمض الصبي عينيه، أدار الخاتم، فوجد أمامه، عندما فتحهما، قصراً بناه لهما الله وجعل فيه عشراً من العنزات، وخمسة من الحيوانات البريّة: ثعلباً، ضبعاً ليس له غير ساق واحدة فقط، أسداً، خنزيراً، وغزالة.

أقامت البنت الصغيرة في «تيغمرت» مع أخيها والحيوانات البريّة، التي كانت ترعى العنزات العشر. قالت يوماً لأخيها:

- *«اترك حيواناتك البريّة اليوم في المنزل!»*

قاد العنزات العشر إلى المرعى، قادها بعيداً، إلى «أقلال». هاجمهم في الطريق اللصوص، وعندما همّوا بقتله، قال لهم:

- *«لا تقتلوني قبل القيام بصلاتي!*
- *كلا، سنقتلك في الحال*
- *أستحلفكم بالله، ليس قبل أن أصلي!*
- *بالله عليكم، يتدخَّل أحد اللصوص، أمهلوه حتى يقوم بصلاته!*

«انحنى الصبي عندئذ ليصلي، وأدار الخاتم الذي كان حول إصبعه قائلاً:

- *«أيتها الضبع! أيتها الضبع!»*

عندما أنهى صلاته، أراد قُطَّاع الطرق قتله. قال لهم:

- *«أستحلفكم بالله، لا تقتلوني قبل أن تأتي هذه الزوبعة من الغبار»*

لقد كانت حيواناته البريّة هي التي حرَّكت هذه الزوبعة، وهبَّت لنجدته، استجابةً لنداء الخاتم. حينما خرجت من الغبار، صاح الصبي فيها :

- *«اهجمي، يا وحوشي!»*

فانقضت على قُطَّاع الطرق، فأهلكتهم. وعاد الصبي، الذي لم يصبْ بأذى، إلى أخته في القصر، حيث عاشا مع حيواناتهم.

الطائر الغِرّيد

كان الطائر الغِرّيد يحمل الخبز إلى أخته. سقط الثلج، وخدَّر البرد ساقيه، فلم يقوَ على التقدُّم. قال:

- *«بقوتك، يا ثلج!»*

قال الثلج:

- *«أنا لست القوي، إن الشمس هي القويّة: تضربني بأشعتها وتذيبني!»*

قال:

- *«بقوتك، يا شمس!»*

قالت الشمس:

- «أنا لست القويّة، إن السحابة هي القويّة: تحجبني حين ترتفع!»

قال:

- «بقوتك، يا سحابة!»

قالت السحابة:

- «إن القويّة هي الريح التي تبددني حين تهب!»

قال:

- «بقوتك، يا ريح!»

قالت الريح:

- أنا لست القويّة، إن القوي هو الجدار الذي يوقفني ويمنعني من العبور!»

قال:

- «بقوتك، يا جدار!»

قال الجدار:

- «أنا لست القوي، إن القوي هو الفأر الذي يقضمني حين يخترقني!»

قال:

- «بقوتك، يا فأر!»

قال الفأر:

- أنا لست القوي، إن القوي هو القط!»

قال:

- *«بقوتك، يا قط!»*

قال القط:

- *«أنا لست القوي، إن القوي هو السلوقي!»*

قال:

- *«بقوتك، يا سلوقي!»*

قال السلوقي:

- *«أنا لست القوي، إن العصا هي القويّة!»*

قال:

- *«بقوتك، يا عصا!»*

قالت العصا:

- *«أنا لست القويّة، إن القويّة هي النار التي تهلكني!»*

قال:

- *«بقوتك، يا نار!»*

قالت النار:

- *«لست أنا القويّة، إن القوي هو الماء الذي يطفئني!»*

قال:

- «*بقوتك، يا ماء!*»

قال الماء:

- «*لست أنا القوي، إن القوي هو الثور الذي يشربني!*»

قال:

- «*بقوتك، يا ثور!*»

قال الثور:

- «*لست أنا القوي، إن القوي هو السكين الذي يذبحني!*»

قال:

- «*بقوتك، يا سكين!*»

قالت السكين:

- «*لست أنا القوية، إن القوي هو الحداد الذي يحوّلني ويطرقني!*»

قال:

- «*بقوتك، يا حداد!*»

قال الحداد:

- «*لا، لست أنا القوي، بل القوي هو الموت الذي يخطفني، عندما يحين أجلي!*».

بومة مولاي سليمان

مـولاي سـليمان، ملـك الجـن، كان حاكماً عـلى الطيـور، والوحوش، كما عـلى البـشر. قالت لـه امرأتـه ذات ليلة:

- أريد أن أنام على فراش كلّه مصنوع من ريش جميع الطيور!

فجمع الملك كلّ الطيور وعرضها أمامه ليعرف إن كانت كلّها حاضرة.

قال لها:

- هل حضر الجميع؟
- نعم، لا ينقص إلّا البومة.

قال الملك للصقر.

- هيا أحضرها.

ولما وصل الصقر إلى جحر البومة، قال لها:

- ألا تعلمين أن الملك جمع الطيور، ولا ينقص إلّا أنت فقط!

فذهبت مع الصقر، الذي جاء بها إلى الملك.

وسألها الملك:

- «لماذا لم تحضري؟

فقالت له:

- كنت مشغولة بإحصاء عدد الليالي والأيام، وعدد الموتى والأحياء، النساء والرجال!

قال الملك:

- «آهٍ!، هل سيكون هناك عدد الليالي أكثر من الأيام؟
- الأيام أكثر.
- كيف عرفت؟
- الليالي المقمرة ليست مثل الأيام!
- والموتى، أكثر من الأحياء؟
- الأحياء أكثر.
- لماذا؟
- الميت، الذي يترك ذكرى حياة شريفة هو دائماً في عِداد الأحياء.
- والنساء، هل عددهن أكثر من الرجال؟
- النساء أكثر عدداً من الرجال.
- ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟
- الرجل الذي يتبع نصيحة امرأة أليس هو نفسه امرأة؟

- دون شك!
- وإذن أنا امرأة.
- مولاي، من فمك أعلم ذلك!

وعندئذ صاح الملك:

- «أيتها الطيور، أنت حرة وطليقة، بنعمة البومة، الأقبح من الجميع، (لن يُنتف ريشك!).

المرأة ذات الزوجين

في أحد الأيام، التقت أرملة برجلٍ، فقالت له:

- «*تزوَّجني!*»

قال لها:

- «*إن مهنتي تلزمني بالعمل ليلاً*»

وافقت على هذا الشرط. والتقت برجلٍ آخر، قالت له:

- «*تزوَّجني!*» وتزوَّجها هو أيضاً.

ذلك الرجل الذي يعمل بالليل، كان يأتي إليها بالنهار، والذي يشتغل بالنهار، كان يأتي إليها بالليل. عندما جاء زوج النهار، قالت له:

- *«لقد ولدت!»*

وقالت الشيء نفسه لزوج الليل. ثمّ تناول كلّ منهما سلّته وذهب إلى السوق لشراء المواد الغذائية، من أجل الاحتفال بالحدث السعيد. التقى الزوجان، قال أحدهما:

- *«زوجتي ولدت!»*

- *«وزوجتي أنا أيضاً»* قال الآخر.

عندما تبضعا، عادا معاً، ووقفا أمام الباب. أراد أحدهما الدخول، فمنعه الآخر. قال:

- *«هذا منزلي!»* وتشاجرا.

ولما سمعتهما الزوجة، أخذت مالاً، وهرعت إلى دار القاضي. طرقت الباب، جاءت زوجة القاضي وفتحت لها، وكانت هي التي حكت لها المغامرة. «أنت، قلت، ليس لك إلّا طفل واحد، أنا لديّ سبعة أطفال، ومنهم واحد فقط يمكنه أن يقول إنه ابن القاضي!».

سمع القاضي كلام زوجته، فانطلق لاستشارة أكبر عالم. أخبره بخيبة أمله (وساعده باقتراح حيلة عليه). قام بشراء سبعة من ملابس الأطفال، مختلفة الألوان والأشكال، ولما ارتداها الأطفال، قال القاضي لكلّ واحدٍ منهم:

- «قم بصفع والدك!

وقام الأطفال، دون تردُّد، بصفع أبيهم، باستثناء الأصغر سناً، الذي لم يقم بذلك. تعرَّف فيه القاضي على ابنه الحقيقي.

ثمّ أراد معاقبة زوجته. حرم من الشرب جملين وأطعم كلاً منهما جيّداً خلال يومين، وربط زوجته من قدميها بين الجملين. ثمّ جاء

لهـما بالمـاء. فـأسرع الجمـلان لـشرب الماء، وجـرّا المرأة، كلّ مـن جهته، فمزقاهـا.

احتفظ القاضي بابنه وطرد الأطفال الآخرين.

أسطورة الغراب

في بداية العالم كان الغراب أبيض اللون. بعث النبي- عليه السلام- إليه يوماً رسولاً قال له: «خذْ هذا الذهب واحمله إلى المسلمين، وخذْ هذا القمل واحمله إلى النصارى!».

ومضى الغراب: فأعطى الذهب للنصارى وأعطى القمل للمسلمين. ولمعاقبته، مسخه الله: فأصبح ريشه أسود اللون وعندما ينعق: «عاق عاق» فهذا يعني: أنا أستحق هذا الجزاء، فقد خنت الوديعة «التي أُستؤمنت عليها».

العندليب

كان العندليب ينام ليلاً على تعريشة كرم. في صباح أحد الأيام، وجد نفسه عالقاً بورقة الكرم التي كانت خيوطها اللولبية تلتف حول عنقه. كافح حتى استطاع تحرير نفسه. ومنذ هذه الحادثة، بدأ يخشى النوم في الليل ويغني ليبقى مستيقظاً، ويغني كما في النهار. كان يشرع في الغناء بمجرَّد أن تبدأ الكرمة في النمو ويكف عن الغناء عندما تبدأ في الذبول. كان يظلّ صامتاً لبقية العام، ولا يستأنف أغنيته إلّا في الربيع، حين تخضّر الكرمة من جديد.

الأسد والإنسان

كان الأسد يعيش وحيداً في الغابة، دون أن يجد مَنْ يتكلَّم أو يتسلَّى معه. ذهب إلى المغامرة ذات يوم، ولمَّا خرج من عرينه، وأخذ يتفقَّد الأفق، شاهد حماراً قادماً نحوه، وهو يعدو ويرفس وينهق، سأله الأسد:

- *«ماذا جرى لك حتى تحدث كلّ هذا الضجيج؟.*

فقال له:

- *هربت من إمبراطورية الإنسان.*
- *ماذا فعل لك إذن، هذا الإنسان؟*
- *إنه يرمي على ظهري كلّ يوم بردعة، ويثقلني بكيس ضخم، يركب فوقه، ثمّ يخزني بشوكة مُثبَّتة في نهاية العصا، وأنا أمشي، عن طيب خاطر أو بالقوة!*

- ابقَ في عرينـي، ستكون عنـدي في أمـان مـن هـذا الإنسـان، فلـن تـراه مـرّةً أخرى!

وبينـما كانـا يتنزَّهـان معـاً، في أحـد الأيـام، وصل الحصـان بـدوره راكضاً بأقـصى سرعة. سـأله الأسـد.:

- «ما لك تعدو هكذا دون النظر حتى خلفك؟»

فقال له:

- «أنا هارب بعيداً عن إمبراطورية الإنسان.
- ماذا إذن فعل لك، الإنسان؟
- إنـه يلقـي عـلى ظهـري بـشيء يسمِّيه «الـسرج» ويضـع في فمـي شـيئاً آخـر يدعـوه «اللّجـام» ويجعـل لهـذا الـسرج ركابـاً ويقـف هنـاك منتصبـاً عـلى قدميـه المُسلَّحين بمهمازيـن، إذا حاولـت إنقاذ نفسي، فإنـه يوقفني بسـحب اللجـام، ويبـدو لي عندئـذ أننـي سـأموت، وإذا رفضت السـير، فإنه يضربنـي بمهمازيـه، ويبـدو لي أن كبـدي سـتنفجر. إنـه يفعـل بي مـا يحلـو لـه!، - ابـقَ هنـا، اطمـئن، أبـداً لـن تـراه مـرّةً أخـرى، هـذا الإنسـان! وعاشـا معـاً، ثـمّ جـاء دور الجمـل، وأخـيراً دور البغـل.

وفي أحـد الأيـام، عندمـا كان الأسـد واللاجئـون إليـه يغامـرون خـارج الغابـة، ألقـوا نظراتهـم عـلى السـهل، فشـاهد الحـمار الإنسـان الـذي كان مـاراً، فنـادى الأسـد، قائـلاً لـه:

- «ها هو إنسان الإمبراطورية التي هربنا منها!»

اقترب منه الأسد، وقال له:

- هل أنت، هو الإنسان؟
- نعم، أنا هو!
- أريد أن آكلك!

- ماذا تأمل أن تجد في؟

- أريد أن آكلك، لأن رأسك مليء بالخيانة!

- ماذا فعلت لك؟ ما هو القاسم المشترك بين أبيك ووالدي، لم أرك قط، وأنت لا تعرفني، وتريد أن تهلكني!

- اشرح إذن سلوكك تجاه الحيوانات التي جاءت إليّ طالبةً مني اللجوء!

- لقد تركها لنا القدماء هكذا، وهذا هو مصيرها أن تكون مُستعبَدة.

- يجب أن آكلك.

- اسمح لي أولاً أن أُقدِّم لك نصيحة.

- ما هي؟

- أنا صانع ماهر!

- ماذا يمكنك أن تصنع؟

- إنني أقوم ببناء غرف لفائدة الأسود، عندما يفاجئها المطر أو البرد، يمكنها الالتجاء إليها والبقاء هناك، حتى ينتهي الطقس الرديء. دعني أبنِ لك واحدة، ستباركني عندما تلتجئ إليها في الأيام المُمطرة.

شرع في بناء مصيدة ليوقع به. عندما أصبحت جاهزة، قال له:

- تعال، يا عمي، ادخل إلى هذه الغرفة، لمعرفة ما إذا كانت ملائمة لراحتك، هل هي واسعة بما فيه الكفاية أو طويلة بما فيه الكفاية، يمكنني تكبيرها لك حتى تكون مرتاحاً فيها تماماً!

دخل الأسد وأغلقت المصيدة عليه.

- إنها تناسبني هكذا جيداً، قال له ثمّ أضاف:

- والآن، افتح!

- لكنني لا أريد أن أدعك تذهب! قلْ لي ما هو مذاق اللحم البشري، مرّ أم حلو؟

- ليست لديّ رغبة في أكلك، ساعدني فقط على الخروج من هنا

- والله، لن تخرج حيًّاً من هذه المصيدة، لأنك مليء بالخيانة!

وسحب سكينه، ونحره. وعندما مات الأسد، ساق الحمار، والحصان، والجمل، والبغل، وأعادها إلى العمل الشاق، الذي أرادت التحرُّر منه.

الفلَّاح والأسد

(في لهجة آيت ندير)

خوفاً من أن يقتله بعض الصيادين، ذهب الأسد ليبحث عن ملجأ بالقرب من أحد الفلَّاحين، قال له:

- احمني، هؤلاء الناس يريدون قتلي!

فأخفاه الفلَّاح في كيس. ولما انصرف الصيادون، أراد الأسد افتراس المُحسِن إليه.

قال الرجل:

- «لنذهب بالأحرى إلى المحكمة، إذا كانت الأخطاء من جانبي ستأكلني.

مثلا أمام السلوقي، الذي كان قاضياً، والذي أعلن بطريقة جامعة مانعة:

- عندما كنت في خدمة الإنسان، كنت أطارد ابن آوى، وكان سيدي يطعمني بالكسكس، ولمّا هرمت، عزلني عن العمل.
- ليس الإنسان إلّا خائناً فقط، أهلكه!
- حكمك باطل، صاح الإنسان، الحقيقة لم تقلْ، هيا نمثل أمام الحصان، فهو أعدل.

أعلن الحصان بدوره:

- عندما كنت شاباً، كان سيدي يعتني بي كثيراً، ويقدِّم لي حصصاً جيدة من الطعام والشراب. والآن، حين هرمت، يرسلني لرعي العشب الرطب في المستنقعات. ليس الإنسان إلّا محتالاً، فلتفترسه!
- كلا، احتّج الإنسان، حكمك باطل، لنذهب ونمثل أمام القنفذ الذي يحكم على نحوٍ أفضل!.

قال لهما القنفذ:

- لن أخبركما إلّا عندما يعود الأسد إلى مكانه في الكيس، حيث أخفاه الرجل عن أعين الصيادين.

عاد الأسد إلى المكان الذي كان يحتله في الكيس، حين جعله الإنسان في مأمن. ولما اعتقد الفلَّاح أنه تخلَّص من عدوه، قال للقنفذ:

- تعال إلى خيمتي، ستكون ضيفي! فأجابه:
- بما أنك خدعتنا جميعاً، خذ حتى صغاري.
- «بكلّ سرور» وافق الرجل.

وذهبا لجلبهم. قال له القنفذ:

- أدخل يدك في الجحر واسحبهم!»

مَدّ الرجل ذراعه، ولكن القنفذ أخرج من ثقبه ثعباناً لسعه وصرعه.

***

(في لهجة إداو زيكي)

بينما كان رجل يصيد في الغابة، وجد أسداً، عالقاً رأسه بين صخور. ناداه الأسد:

- باسمك؟ قال له.
- نعم!
- باسم الرب، حرِّر رأسي بسرعة من هنا!»

حرَّره بفأس. واستراح الأسد لحظة ثمّ قال:

- أنا جائع، سآكلك ما دمت في متناول يديّ!
- هل هذا جزاء إحساني!
- لا أدري، لكني سآكلك.
- باسم الرب، بالله عليك، لنعرض القضية على قضاة.
- «موافق!»

التقيا بفرسٍ نحيل كان يرعى. دعاه الرجل:

- أيها الأصيل!
- نعم، قال الفرس الهرم.
- كيف يُجازى الخير؟
- بالشر! كيف عرفت ذلك؟

- بنفسي، عندما كنت شاباً، كنت أصفح بالحديد، وتقدَّم لي بانتظام حصّتي من الطعام والشراب، كنت أغسل وأنظف وأزين بسرج جميل، واليوم، فقدت كلّ شيء، مَنْ يهتم بحوافري! قال الأسد للرجلً:
- هكذا إذن سآكلك!
- لا، لنمثل أمام قاضٍ آخر.

وجدا بقرة عجفاء كانت ترعى زاحفة على ركبتيها. ناداها الرجل قائلاً لها:

- يا بقرة! كيف يُجازى الخير؟
- بالشر!
- كيف عرفت ذلك؟
- عندما أنجب عجلاً، كنت أحلب، كنت أنقل إلى المرعى، ويحمل إليّ العشب الذي كان يستعمل لي في الليل فراشاً. واليوم، لا يوجد أحد لمساعدتي!

قال الأسد للرجل:

- أتكفيك هذه الشهادة؟
- دعنا نذهب للتشاور مع شخصٍ آخر أيضاً.
- مع من؟
- مع القنفذ».

التقيا به، ناداه الرجل:

- إيه، يا قاضٍ!
- نعم!
- كيف يُكافأ معروف؟
- اشرحا لي قضيتكما، وسوف أفصل بينكما.

تكلَّم الأسد:

- هذ الرجل وجدني عالقاً من رأسي بين صخور، طلبت منه أن يخلّصني من هناك، ففعل، ثمّ أردت أكله. هل هذه مكافأتي، قال لي.
- بكلّ تأكيد نعم، لأن معروفاً لا يُكافأ إلّا بالشر!
-هل الأمر هكذا؟
- سأل القنفذ.
- «تماماً!» قال الرجل.

ثمّ خاطب الأسد:

- بالتأكيد، إذا كان قد فعل لك خيراً، فمن واجبك أن تأكله!
- ولكنني، لم أُسئ إليه بأي شيء.
- لا تكذب! قال الأسد.

وحكم القنفذ:

- هيا ضع رأسك حيث كان حين حرَّرك الرجل، سأرى «أفضل كيف حدث الأمر».

بعدما اتخذ الأسد الوضع الذي كان عليه سابقاً، قال القنفذ للرجل:

- تأكَّد، هل الأمر هكذا
- هو كذلك بالضبط!
- دعه إذن وعد إلى أعمالك!

التفت الرجل نحوه:

- خمن، قال له، ما كنت أبحث عنه، وما وجدت؟
- عم كنت تبحث؟
- كنت أبحث عن قنفذ: نصحني به طبيب لطفل مريض!»

نظر إليه القنفذ وأجاب:

- بالتأكيد، نعم الدواء الذي نصحك به الطبيب، ولكن ليس أنا، العجوز، الذي يصلح علاجاً، قسمًا، لن تخرجني من هذا العالم! هيا، تعال، لدي أطفال صغار، عندي ستة، خذ مَنْ تشاء منهم، سيكون هذا خير علاج!

وافق الرجل ومضى مع القنفذ الذي كان، طوال الطريق، يستعرض في ذهنه مخابئ الوحوش. أبصر جحراً ترك ثعبان أثره في مدخله. فتوقَّف وقال:

- هنا يُوجد صغاري!

تسلل القنفذ إلى الجحر، وأخذ الثعبان الذي كان فيه يفح، وينقلب القنفذ إلى كرة ويخرجه من الجحر. وبينما كان الرجل ينظر، اندفع الثعبان فجأة وبلسعةٍ واحدة في الجبين قتله.

قال القنفذ بعد تخليص نفسه:

- هذه عاقبة الشخص الذي يفتقر إلى الحياء.

الحيوانات الضالة والأسد

كان حمار، وخروف، وكلب، وديك، يعيشون معاً. كانوا يتقاسمون حياة هادئة هانئة، كانوا جميعا شباعاً، أغنياء، لا يعوزهم أي شيء، عندما قال لهم الحمار يوماً:

- اسمحوا لي أن أرفع صوتي بالنهيق، نهقةً واحدة فقط!

وقال الديك:

- اسمحوا لي أن أصيح كوكوريكو، صيحةً واحدة فقط!

وقال الكلب:

- وأنا دعوني أنبح وع، وع، وعوعةً واحدة فقط!

وقال الخروف:

- وأنا بع، بع، بعبعةً واحدة فقط!.

وعلى مسافة غير بعيدة عن الرفاق الأربعة، في نفس هذه الغابة، كان يعيش أسد. لم يسبق لأي واحدٍ منهم أن رآه، ولا سمع منه أي ضجيج حتى الآن. ولمَّا تناهت أصواتهم إلى سمع الأسد، قال في نفسه:

- انظر، هناك إذن بشر هنا، من كان يظن!

وتوجَّه نحو المكان الذي كان يجيء منه الضجيج، واكتشف العصابة كلّها. فسألهم:

- منذ متى وأنتم هنا؟
- نحن هنا، يا عمنا الأسد، قبل حولين كاملين!
- نحن إذن جيران، إلّا أن أحداً منكم لم يأتِ لزيارتي!
- كنا نعتقد أننا السكان الوحيدون في هذه الغابة.
- لا، على الإطلاق، لقد سبقتكم إليها بسنةٍ على الأَقلّ. وأخيراً، ما دام الله ساقكم إليّ، سوف أستخدم اثنين منكم طعاماً للغداء، والآخرين طعاماً للعشاء.
- آهٍ يا إلهي! هذا مؤسف، يا عمنا العزيز، نحن سعداء جدّاً لأننا التقينا بك وشكرنا الله لأنه منحنا مثل هذا الجار، وأنت تسعى إلى تدميرنا الآن!
- لابد من ذلك، ليس لديّ أي طعام للغداء ولا للعشاء.
- إذن، الله يهديك إلى الطريق الصحيح ويجعلك رؤوفاً بنا!.

تشاور (المحكوم عليهم). تكلَّم الخروف.

- سوف أطلب منه فتح شدقه لالتهامي، وسوف أتراجع قليلاً، ثم سأندفع وسأنطحه بين عينيه. وحين يسقط أرضاً، أنت، الكلب، سوف تنهش بطنه، وأنت، الديك، سوف تقتلع عينيه!

ولمَّا اتفقوا، قال الخروف للأسد:

- افتح شدقك، وأغمض عينيك!

وتراجع أربع خطوات، واندفع ووجه إليه نطحة حادة بين عينيه، فوقع على قفاه. وانهال الحمار عليه ركلاً، وانتزع الكلب أحشاءه، وفقأ الديك عينيه. ثم، تفرَّقوا، لأنهم منذ ذلك اليوم، كفَّوا عن العيش في الغابة.

سيدي سعيد أكيرّاموش

كان في الماضي ملك لليهود يزاول السحر. زار يوماً مدينة فاس، توقَّف بالقرب من جامع القرويين، وبعدما ارتفع في السماء، جلس على فرو خروف كان بمثابة سجادة، ومن هناك، من السماء، أخذ يبول على الطلبة، الذين كانوا يذهبون إلى الصلاة، واضعاً إياهم في أسوأ حالة من النجاسة. فرفعوا شكواهم إلى القاضي:

- هذا ما يفعله لنا هذا اليهودي، فهو ينجسنا بقذارته، يوم الجمعة، عندما نذهب للصلاة! استدعى القاضي مستشاريه.

تساءل هؤلاء:

- مَنْ يستطيع فعل أي شيء ضده؟

وخاطبوا اليهودي:

- لماذا تتصرَّف هكذا؟

- انظروا، إذا كان هناك أي شخص منكم يستطيع أن يفعل نفس الشيء، فهو ملك أو ساحر!

تشاوروا ولم يجدوا شيئا للرد عليه، وعندئذ قال أحدهم للقاضي:

- يوجد في سوس رجل ولي خبير في السحر[1] أكثر من هذا اليهودي. فلنرسل في طلبه!

أرسل أشخاصاً مكلفين بإحضاره.

- انظر، قال له الفاسيون، كيف نعامل هذا اليهودي، يوم الجمعة، ينجسنا بقذارته، عندما نذهب للصلاة!

خاطب ولينا اليهودي وأمره بالنزول.

قال له:

- لا، ماذا بوسعك أن تفعل، يا ربَّ الثياب!
- إذن ترفض أن تنزل؟
- نعم!

التفت نحو القاضي وسأله:

- بأي عقاب تريدون الحكم عليه؟

قال له:

---

(1) حسب عنوان الحكاية هو سيدي سعيد أكيرّاموش.

- ما يبدو لك حكماً جيّداً!

وقال الأشخاص المستجوبون، الكبار والصغار:

- افعل ما يحلو لك!
- إذن سوف تتحوَّل إلى لحم مفروم في السماء!

نظر الناس بعضهم إلى بعض وأعلنوا عن رضاهم. كتب الولي سحراً على ورقتين، إحداهما تمثِّل حجر رحى طاحونة مستديرة، والأخرى تمثِّل طاحونة طائرة «ورمى بهما في الهواء». وحلَّقت الورقتان بعيداً والتقتا فوق اليهودي. فصاح هذا الأخير:

- أريد أن أنزل!
- لا، لن تنزل إلّا لحماً مفروماً!.

الطفل واليهودي

وُلِدَ صبيٌ صغير يوماً في منزل تاجرٍ ثريّ. كان هذا الصبي أجرب. عندما كبر أصبح فاسداً وشريراً ويرتكب شتّى الحماقات بحيث ذهب به والده ليتعلَّم عند خبَّاز. بقي هادئاً لبعض الوقت، وبعد أن قام يوماً بضرب وجرح أحد الأشخاص، طرده رَبّ العمل. فعاد إلى البيت. وسرعان ما تُوفي والده. مكث مع أمه ولم يمرّ يوم دون أن يُثار شجاراً وخصاماً حوله. وفي أحد الأيام، جاءت عجوز لزيارة أمه، وأثناء الحديث، قالت هذه الأخيرة:

- إن لديّ ولداً يسبب لي الكثير من العذاب!

- ولكن هنا يهوديٌّ عالم قويّ، ينشر علمه على الشبّان، وبعد ذلك، يقتلهم. يجب أن تعهدي به إليه.

أخذت العجوز الغُلام وأرسلته ليتعلَّم في مدرسة الساحر. عاملته زوجة المعلم بمودة وسرعان ما بدأت تكلفه ببعض الخدمات. دعته يوماً وقالت له:

- من الضروري أن أُقدِّم لك توصية.
- ما هي؟
- يقوم هذا الرجل بقتل طلابه عندما يلقِّنهم علمه. إذا سألك عن دراستك، قُلْ له إنك لا تعرف شيئاً.

وبالفعل، جاء إليه الرجل لاستجوابه، ولما بقيت أسئلته دون إجابة، أنَّبه وأبعده.

غير أن الفتى كان مستوعباً جيّدًا دروس معلِّمه. رجع من جديد إلى منزل والدته، وفي اليوم التالي لوصوله، استأجر محلًّا، ليزاول فيه بعض الأعمال التجارية، وانصرف بالتالي إلى أشغاله عندما قال لأمّه ذات يوم:

- اذهبي إلى الملك واطلبي لي منه يد ابنته!
- هل جننت، يا بني؟ أنت تتزوج بنت الملك؟
- اذهبي، قلت لك!
- رضخت والدته لرغبته واتجهت إلى قصر الملك.
- سيدي، قالت بعد أن سجدت، جئت طالبة منك يد ابنتك للزواج بولدي!
- لن أعطيها له، قال، إلّا حين يريني أشياء غريبة وعجيبة».

وقبل ابنها هذا الشرط غير العادي. أغلق متجره.

قال لأمه:

- الآن،سأتحوَّل إلى بغل، وستذهبين بي إلى السوق لبيعي. إذا أعطوك فيه مئة مثقال، فبيعيني، ولكن بالأخص لا تبيعيني باللجام، حتى ولو

منحوك ألف مثقال!

قادته أمه إلى السوق. وما لبث الناس أن استفسروا عن السعر. وها هو الساحر جاء وعرف الأجرب في هذا البغل.

- آهٍ! هذا أنت!

همس في أذنه:

- أنا الذي سأكون سيدك!

واشتراه بخمسمئة مثقال وسلَّمه إلى رجاله لاستخدامه في حمل الأحجار. وقال لهم:

- احترسوا من خلع لجامه. وأخذوا بالتالي ينقلون عليه الحجر.

وبعد مرور بعض الوقت، قرَّر أبناء الأثرياء القيام بنزهة. ركب ابن الساحر على ظهر بغل والده وانضم إلى الجماعة. عندما وصلوا إلى نهر، أرادوا أن يوردوا مطاياهم. خلع ابن الساحر اللجام عن دابته، وها هو البغل يتحوَّل إلى سمكة، وقفزت هذه السمكة إلى الماء. وهرع في الحال لإخبار أبيه. وانطلق هذا الأخير ركضاً، وألقى بنفسه في الماء، وقد تحوَّل إلى ثعبان. وغاص بحثاً عن السمكة، وبعد أن وجدها واستعدَّ لابتلاعها، اتخذت شكل كرة من حديد. واتخذ اليهودي فوراً شكل مطرقة، وما كاد يضرب حتى تحوَّل الأجرب إلى حمامة، وطارت نحو قصر الملك، مطاردة بالساحر الذي تحوَّل إلى صقر. ثمّ تحوَّلت الحمامة إلى رمانة وتحوَّل الصقر إلى ديك. وهوى الديك بمنقاره على الرمانة كي ينقب منها الحبوب. ولم يبقَ عمَّا قليل سوى حبة واحد فقط. وما إن هبّ الديك ليبتلعها حتى انتصبت وتحوَّلت إلى سكين وذبح هذا السكين الحيوان. ثمّ أصبحت الحبة الشاب مرّة أخرى وهذا الأخير انحنى أمام الملك قائلاً له:

- هذه، يا مولاي، الأشياء الغريبة والغريبة!

وأعطاه الملك ابنته وتزوجها الأجرب.

التاجر واليهودي

تُوفِّي رجل. ترك ابناً صغيراً. عندما كبر الطفل، قال لأمّه يوماً:

- ماذا كانت وظيفة والدي؟

قالت له:

- كان يعمل مع يهودي.

اتجه نحو هذا اليهودي وقال له:

- أنا ابن فلان، أرغب في القيام بعمل معك لمساعدة عائلتي!
- أستطيع أن أشحن لك قارباً محمَّلاً بخشب الصندل، سوف تبيعه، وعند عودتك، سوف تعطيني رطلاً من لحم ذراعك! وافق، وشحن له

قارب خشب الصندل الذي ذهب لبيعه.

أرسى على شاطئ مدينة لم يعرفها. وسرعان ما تقاطر الناس عليه، سائلين:

- *ماذا حملت لنا؟*

قال:

- *شحنة من خشب الصندل!*

وهرعوا لإخبار تاجر المنطقة بهذا الوصول. قالوا له:

- عندما يعرض عليك هذا الرجل بضاعته، ستطلب من الخادمة أن توقد أمامه النار وأن لا تزينها إلّا بخشب الصندل. وهكذا سيرى أننا لا نقيم لهذا الخشب وزناً كبيراً، وبالتالي يمكنك أن تشتري منه حمولته بسعرٍ زهيد جدّاً!

أحضروا التاجر، ومَرّ كلّ شيء كما قِيل. عندما رأى، بالفعل، أن الناس في هذا البلد، يغلون ماءهم بخشب الصندل، قرَّر التخلّص من حمولته بأي ثمن. وهكذا اشتراها التاجر منه بملء صاع من الفضة أو الذهب، حسب اختياره.

مضى الشاب وهو يفكِّر في الأمر. حين رأته امرأة على هذه الحال، سمحت لنفسها باستفساره. وعندما عرفت قصّته، عرضت عليه الزواج:

- *تزوَّجني، وسوف أعرف كيف أخلصك من الورطة!*

وتزوَّجها. وفي الغداة، جاء التاجر لاصطحابه إلى الموثق من أجل كتابة عقد البيع. أخبر زوجته فنصحته:

- *إذا سألوك بأي وزن تفضِّل أن يدفعوا لك، فقلْ لهم: ادفعوا لي بصاع*

من البراغيث، شريطة أن لا يكون منها أعمى أو أعرج!

وقفا أمام الكاتب العدل، ولما سُئِلَ:

- بأيّ سعرٍ تريد بيع خشبك؟

قال لهم:

- ادفعوا لي عنه صاعاً من البراغيث!

فانفجر الناس بالضحك.

وأضاف:

- ذلك، لأن ثمن البراغيث، في بلدي، أغلى من خشب الصندل!

ففهم التاجر. واعتذر وتلقَّى صاحبنا سعراً مقبولاً عن بضاعته.

ذات يوم، سألته زوجته إذا كان لا يرغب في الرجوع إلى بلده. قال لها:

- هذا لأنني خائف من اليهودي!
- لنذهب، وسأعرف كيف أخلصك منه! وسافرا.

كل يوم، كان اليهودي يأتي لمضايقته، ومطالبته برطله من اللحم. وفي أحد الأيام، دبَّرت زوجته، حين علمت بالأمر، مبلغاً من المال، وقدَّمته هدية لامرأة القاضي، وقالت لها:

- أرجوك أن تتوسَّلي إلى زوجك أن يترك لي مكانه يوماً أو يومين!

لم يعترض القاضي. لبست المرأة ثياب رجل، وجلست مكانه في قاعة المحكمة. وتقدَّم أمامها اليهودي وزوجها.عرض كلّ واحد قضيته وأصدرت الحكم.

- أحضروا موسى حلاقة وميزاناً!

مدَّت موسى الحلاقة لليهودي وقالت له:

- اقطع رطلاً من لحم ذراعه، ولكن عليك أن تجعل الوزن مضبوطاً تماماً. وإذا قطعت منه أكثر من اللازم أو ما لا يكفي، فسأقطع رطلاً من لحمك!

كان اليهودي خائفاً أن لا يقطع اللحم وفق الوزن المضبوط تماماً، فقال:

- سيدي القاضي، أنا أسامحه!

وهكذا، بفضل روح زوجته، تمّ تخليصه، مرّتين، من خطوة سيئة.

سيدي حْمد أو موسى في كهف الغول

كان سيدي حْمد أو موسى وصاحبه مسافرين . عندما وصلا إلى أقصى تخوم المعمور، علَّقا على نجم كيسهما المحتوي على زادهما. اختفى النجم مع الكيس. وتنازع حوله الرجلان. ومن هناك كان يمرّ عابر سبيل فقال لهما:

- ماذا وقع لكما؟
- كيس زادنا اختفى!
- لا تتخاصما، سوف يعود إليكما، اقضيا الليل هنا، وفي الصباح، سوف تجدانه!

في الصباح، ظهر الكيس من جديد «مع النجم»، أخذاه فوجداه سليماً. ثمّ واصلا طريقهما، ولمّا حَلّ الليل، طلبا كرم الضيافة من

الغـول «أجـيرزم».

قال لهما:

- *مرحباً بكما!*

وهـو يدخلهـما إلى الكهـف الـذي كان يقيم فيه مع مواشـيه. أشـعل لهما النار وقـال لهما:

- *ماذا تريدان أن تأكلا؟*
- *ما تقدِّمه لنا!*
- *سأقدِّم لكما اللحم، وستقدِّمان لي أنتما «أيضاً» لحماً من نوع آخر.*

نظر كلّ منهما إلى صاحبه (دون أن يفهما) وتساءلا:

- *أين سنجده؟*

ولمّا اتفقا، قرَّرا أن يأكلا أوّلاً وأن يتوكَّلا على الله بالنسبة للباقي.

وبعدما شبعا، سألهما الغول:

- *هل أكلتما جيّداً؟*
- *تماماً!*
- *أنا، لم آكل بعد: فليقدِّم أحدكما نفسه لي طعاماً!*
- *بـكلّ سرور، سـوف يُعـيِّن القـدر أي واحـدٍ منـا نحـن الاثنـين سـتجعله وجبتـك!*

اختار سيدي حْمد أو موسى القدر، ولكن صاحبه لم يوافق على ذلك:

- *لا، قال، أنا الذي سيأكلني!*

ألح حْمد أو موسى.

- لا، أنا!

وحين كان الغول يستعد لالتهامه، تناول عصاه الحديدية، أحمى سنها حتى احمرَّت بالنار وغرزها في عينه وفقأها.

هدر الغول:

- حسناً! ها أنتما في وسط الكهف، وأنا عند المدخل، سنلتقي في مطلع الفجر.

في الصباح، ذبح الأسيران خروفين، ولبسا فروتهما، أكلا أحدهما وتركا الآخر، ثمّ اندسا وسط الشياه. لقد حان وقت خروج القطيع. كان الغول واقفاً في المدخل يحسب الخراف، يمسك بالشاة، ويلمسها ويدفعها للخارج، حتى خرج القطيع كلّه ومعه سيدي حْمد أو موسى وصاحبه مختبئين وسطه. ثمّ خلعا الفروة التي كانا يرتديانها، وضربا بها الغول وهما يشتمانه:

- هل هذه طريقة للتعامل مع الضيوف واحترام قوانين الضيافة!

وهربا!.

الفهرس

تقديم: فصوص من حكم الأدب الشَّعبيّ 5
- يوسف،عاشق الملكة 13
- فاضل وعطوش 17
- غزلان الليل 23
- حكاية ثلاثة رجال 33
- الحطَّاب والأدوات السحريّة 39
- الحلَّاق العاشق 45
- الصديقان 53
- حكاية «بَرّيوَة» 55
- اليتيمان والخاتم السحريّ 57
- الطائر الغِرّيد 61
- بومة مولاي سليمان 65
- المرأة ذات الزوجين 69
- أسطورة الغراب 73
- العندليب (لماذا يُغنّي ليلاً ؟) 75
- الأسد والإنسان 77
- الفلَّاح والأسد 81
- الحيوانات الضالة والأسد 87
- سيدي سعيد أكيرّاموش 91
-الطفل واليهودي 95
- التاجر واليهودي 99
- سيدي حمد أو موسى في كهف الغول 103

صدر في سلسلة

كتاب الدوحة

	2011	
1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأئمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبيّ
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
	2012	
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرّية الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنيّة	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر حداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصدّيق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
	2013	
20	لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر أو (الغاية في البداءة والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسيّة	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداهي
31	فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللّغة العربيّة	مجموعة مؤلفين

	2014	
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين)	خالد النجار
34	مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سيرتَي ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حِمّيش
36	حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين	ابن طفيل
37	الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشال سار
38	محمد إقبال - مختارات شعرية	محمد إقبال
39	تزفيتان تودوروف (تأمُّلات في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية)	ترجمة: محمد الجرطي
40	نماذج بشرية	أحمد رضا حوحو
41	الشرق الفنّان	د.زكي نجيب محمود
42	تشيخوف - رسائل إلي العائلة	ترجمة: ياسر شعبان
43	إلياس أبو شبكة «العصفور الصغير»	مختارات شعرية
	2015	
44	لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟	الأمير شكيب أرسلان
45	مختارات من الأدب السوداني	علي المك
46	رحلة إلى أوروبا	جُرجي زيدان
47	المُعتمدُ بنُ عبّاد في سنواته الأخيرة بالأسر	د.عبدالدين حمروش
48	تاريخ الفنون وأشهر الصور	سلامة موسى
49	من أجل المسلمين	إيدوي بلينيل - ترجمة: عبداللطيف القرشي
50	زينة المعنى (الكتابة، الخط، الزخرفة)	يوسف ذَنّون
51	الواسطة في معرفة أحوال مالطة	أحمد فارس الشدياق
52	النخبة الفكرية والانشقاق	د. مُحسن الموسوي
53	ياسمينة وقصص أخرى	إيزابيل إيبرهاردت
54	آباي (كتاب الأقوال)	ترجمة وتقديم: بوداود عمير
55	مأساة واق الواق	ترجمة: عبدالسلام الغرياني
	2016	
56	بين الجزْر والمدّ (صفحات في اللّغة والآداب والفنّ والحضارة)	محمد محمود الزبيري
57	ظلّ الذّاكرة (حوارات ونصوص من أرشيف «الدوحة»)	مي زيادة
58	الرحلة الفنّية إلى الديار المصريّة (1932) تحقيق: رشيد العفاقي	قسم التحرير «مجلّة الدوحة»
59	قيصر وكليوبترا	أليكسي شوتان -تعريب: عبد الكريم أبو علو
60	الصين وفنون الإسلام	إسماعيل مظهر
61	براعمُ الأمل (مُختارات شِعْريّة للكاتب الصيني وانغ جو جن)	ترجمة: مي عاشور
62	التّوت المُرّ	محمد العروسي المطوي
63	درب الغريب	غونار إيكليوف
64	من والد إلى ولده	أحمد حافظ بك
65	التلـــميذ	بول بُورجيه
66	ملحَمة جلجامِش	تقديم وترجمة: طه باقر
67	أريجُ الزّهر	الشيخ مصطفى الغلاييني
	2017	
68	اعترافات إنسان	محمّد فريد سيالة
69	مريود	الطيب صالح
70	المقالات الصحفية	عبدالله كنون
71	قصص قصيرة	نجيب محفوظ
72	بول بولز - يوميات طنجة	إبراهيم الخطيب
73	فنّ الحَياة	سلامة موسى

74	أَقْوَمُ الْمَسَالِكِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْمَمَالِكِ	خير الدين التونسي
75	كتاب الأخلَاق	أحمد أمين
76	رِحْلَةٌ جَبَلِيَّةٌ رِحْلَةٌ صَعْبَة	فدوى طوقان
77	قِطافٌ (مُختَارَات مِن اَلْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ فِي قَطَر)	مجموعة من الكتاب
78	الرحلة الجوية في المركبة الهوائية (من شَرقي إفريقية إلى غربيها) ج: 1	جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس
79	الرحلة الجوية في المركبة الهوائية. ج: 2	جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس
	2018	
80	مذكرات دجاجة	إسحق موسى الحسيني
81	ماذا يقول غاندي عن اللاعنف والمقاومة والشجاعة؟	نورمان ج. فينكلستاين- ترجمة: أحمد زراقي
82	نشأة اللوحة المسندية في الوطن العربي	د. نزار شقرون
83	مِن سِيَر الأَبْطَال والعُظَمَاءِ القُدَماء	إس. إس. بيو - ترجمة: يعقوب صروف - فارس نمر
84	مقالاتٌ في الأدب العربيّ	إغناطيوس كراتشكوفسكي
85	سِرُّ النَّجَاحِ	صموئيل سمايلز - ترجمة: يَعقُوب صَرُّوف
86	مِنْ آثَارِ مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور	مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور
87	إنشَاءُ المُكَاتَبَاتِ العَصْرِيَّة	أحمد الهاشمي
88	أجراس أكتوبر - مُخْتَاراتٌ مِنَ الشِّعْرِ السُّوفْييتِّي	ترجمة: عبدالرحمن الخميسي وآخرين
89	حكايات من لافونتين	اختارها وترجمها: جبرا إبراهيم جبرا
90	مع بورخيس	ألبيرطو مانْغيل - ترجمة : إبراهيم الخطيب
91	الرواية الجديدة والواقع	لوسيان جولدمان، ناتالي ساروت، آلان روب غرييه، جينفياف مويلو. ترجمة: رشيد بنحدو

من إصدارات سلسلة كتاب الدوحة

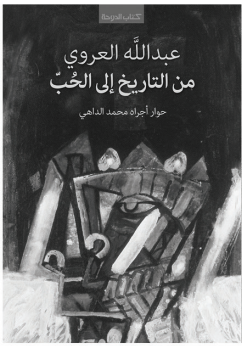

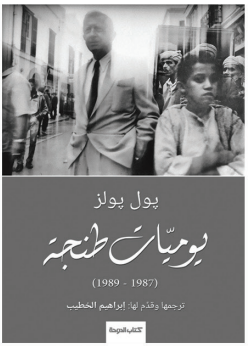

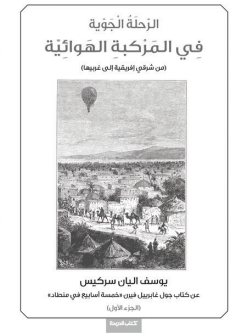

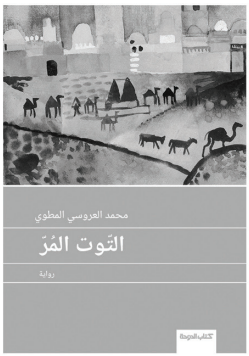

... والأَمرُّ من ذلك أن تُصاب الذاكرة الشَّعبيّة الجماعية كلّ حين بالفقد والضياع والنسيان إنْ لم تكنْ أشرفت على اليتم والعقم، ولا أحد يرفع قلمه احتجاجاً مثلاً على غياب معهدٍ خاص بالدراسات الأمازيغية، كمعاهد البعثة الأجنبيّة المبثوثة في كلّ مكان، بينما يكثر اللّغط الثقافي والجدل السياسي حول الهامشي والثانوي من قضايا الأدب الشَّعبيّ العُروبي أو المُزوغي من قبيل السؤال العقيم: أهي لُغة أم لهجة؟ وهل تكتب النصوص المُترجَمة عنها بالحروف الأجنبيّة أو بالأبجديّة العربيّة؟ أمّ برموزها الأصليّة؟ ولا اتّفاق على الاضطلاع بالمهام الجسام، ولا إجماع إلّا على التَّغنِّي بجمال الإبداع الشَّعبيّ في غياب الحبيب الذي تتطلَّع إليه العين الساخطة التي لا تُبدي منه إلّا المساوئ، وتغمض عنه العين الكليلة والعليلة.

وإذا كانت الظروفُ لا تسعفُ بنقل هذه النصوص من مظانها، وشفاه رواتها، حتى تكون أكثر دقةً وأمانة، فلا أقلّ من ترجمتها من بعض المصادر الأجنبيّة، مثل كتاب «حكايات بربرية من المغرب» الصادر عام 1949، ضمن سلسلة منشورات معهد الدراسات المغربية العليا، عن مطبوعات لا روز بباريز، الذي جمع فيه الباحث الفرنسي إميل لاوست «1876-1952» أكثر من مئة حكاية، من الحكايات الشَّعبيّة الأمازيغية، ترجمها إلى الفرنسية، وعلَّق عليها، وحقَّقها، وقد استقاها من أفواه بعض الرواة ، خلال جولاته ما بين 1913 و 1920 في عددٍ من مناطق المغرب...

دولة قطر
وزارة الثقافة والرياضة
كتاب الدوحة